www.ibtesama.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب
سلسلة الجوائز

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

رواية

جون - لوى فورنييه

أين تذهب يا بابا؟

ترجمة : أيمن عبد الهادى

www.ibtesama.com

جون لوى فورينيه.

- كاتب وسيناريست ومخرج تليفزيونى فرنسى.
- ولد عام ١٩٣٨ فى بلدة كاليس بفرنسا.
- حققت مسلسلاته وأفلامه وبرامجه شهرة كبيرة.
- تقترب أعماله الأدبية من الثلاثين كتابًا ودراسة حقق بعضها شهرة كبيرة.
- من أهم أعماله: "سَأعلمك الأدب أيها الغبى الصغير" ١٩٩٨، وسيرة ذاتية عن والده بعنوان "أبى لم يقتل أحدًا أبدًا" ١٩٩٩، "كلمات الأغنياء.. كلمات الفقراء" ٢٠٠٤، "جوادى الأسود الأخير" ٢٠٠٦، "أين نذهب يابابا؟" ٢٠٠٨.
- حازت روايته "أين نذهب يابابا؟" جائزة الفيمينا عام ٢٠٠٨.

جائزة الفيمينا

أسسها عام ١٩٠٤ اثنتان وعشرون من المشاركات فى مجلة "الحياة السعيدة" بمبادرة من الكاتبة "آنا نواى" وكان هدفها توثيق علاقات الزمالة بين الأديبات. فكانت لجنة التحكيم نسوية حصرًا. وكان تأسيس الجائزة رد فعل على كزه أصحاب الجونكور للنساء وعدم تتويج المرأة الأدبية. تمنح لجنة تحكيم الجائزة فى أول أربعاء من شهر نوفمبر كل عام قبل جائزة الجونكور بأيام.

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

أين نذهب يا بابا؟

www.ibtesama.com

رئيس مجلس الإدارة	أ. د. محمد صابر عرب
رئيس التحرير	د. سهير المصادفة
مدير التحرير	السماح عبد الله
سكرتير التحرير	وردة عبد الحليم
التصميم الجرافيكى	د. مدحت متولى
الاخراج الفنى	صبرى عبد الواحد
	على أبو الخير

فورنييه، جون لوى.

أين نذهب يا بابا؟/ جون لوى فورنييه؛ ترجمة: أيمن عبد الهادى. ـــ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠.

١٤٤ ص ؛ ٢٢ سم .

تدمك ٣ ٢٧١ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ القصص الفرنسية.

أ ـ عبد الهادى، أيمن (مترجم)

ب ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٤١٢١/ ٢٠١٠

I. S. B. N 978 - 977 - 421 -271 - 3

ديوى ٤٤٣

www.ibtesama.com

أين نذهب يا بابا؟

رواية

جون - لوى فورنييه

ترجمة : أيمن عبد الهادى

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٠

www.ibtesama.com

- الكتاب: أين نذهب يا بابا؟

Ou on ra, Papa?

- تأليف: جون ـ لوى فورنييه

Jean - Louis Fournier

- ترجمة: أيمن عبد الهادى

- يصدر هذا الكتاب باللغة العربية بإذن خاص من الناشر الأصلى للهيئة المصرية العامة للكتاب.

- جميع حقوق الإصدار باللغة العربية محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب فى مصر والخارج.

- جميع الحقوق الأخرى محفوظة للناشر الأصلى :

© Editions Stoch,2008

- الطبعة الأولى ٢٠١٠.

- طبع فى مطابع الهيئة المصرية للعامة للكتاب.

www.ibtesama.com

عزيزى ماتيو

عزيزى توماس

وأنتما لا تزالان صغيرين راودنى ذات مرة إغواء أن أمنحكما كتاب، تان تان مثلاً. كان بوسعنا الحديث عنه فيما بعد. أعرف جيدًا تان تان، قرأت كتبه كلها أكثر من مرة.

لم أفعل ذلك أبدًا، لم يكن لهذا داع فأنتما لا تعرفان القراءة. ولن تقرءا أبدًا. ستكون هداياكما حتى النهاية مكعبات أو سيارات صغيرة...

والآن وماتيو قد ذهب يبحث عن كرته فى مكان حيث لا يمكن لأحد أبدًا أن يعينه على استعادتها، الآن ورأس توماس الذى لا يزال على الأرض ذاهلاً سأمنحكما كتابًا. كتابًا كتبته لأجلكما. حتى لا ننساكما، حتى لا تبقيان فقط صورة على بطاقة عدم الأهلية. لكتابة أشياء لم أقلها أبدًا. ربما تبكيتًا. لم أكن أبًا صالحًا بما يكفى. لم أحتملكما فى أغلب الوقت، كان من الصعب أن يحبكما أحد. معكما كان يلزم صبر الملائكة، ولم أكن ملاكًا.

أخبركما أننى نادم على أننا لم نكن سعداء معًا، وربما أيضًا أستميحكما عذرًا أنى تجاهلتكما.

www.ibtesama.com

لم تكونا محظوظين ولا نحن. لقد وقع هذا من السماء، وهذا يدعى مصيبة.

سأكف عن الشكوى.

عندما نتحدث عن أطفال معوقين، يغلبنا الحزن، كما لو كنا نتحدث عن كارثة. لمرة واحدة أرغب فى الحديث عنكما مبتسمًا. كنتما تضحكاننى، وليس دائمًا عن غير قصد.

بفضلكما، كنت متميزًا عن آباء الأطفال الطبيعيين. لم أكن مشغولا بتعليمكما، ولا بتوجهكما المهنى. لم نتعرض للتردد فى الاختيار بين التخصص العلمى والتخصص الأدبى. لم نكن للننشغل بما ستفعلانه فيما بعد، فقد علمنا سريعًا أنكما لن تفعلا شيئًا.

والأهم أننى استفدت مجانًا ولسنوات طويلة، بسيارة مجهزة. (*) بفضلكما، كان بوسعى أن أسير بعربات أمريكية ضخمة.

(*) فى فرنسا كان من حق آباء الأطفال المعوقين الذين يمتلكون بطاقة دائمة لعدم الأهلية سيارات خاصة، وفى عام ١٩٩١ وحين توقف منح هذه السيارات لم يعد ثمة رغبة في إنجاب أطفال معوقين (هامش وضعه المؤلف وقد كتبه أيضًا بأسلوب ساخر على غرار روايته).

www.ibtesama.com

منذ صعوده الى السيارة الكامارو ردد توماس البالغ عشر سنوات كما يفعل دومًا: "أين نذهب يا بابا؟"

فى البداية أجبت: نذهب إلى البيت".

وبعد دقيقة، ومن دون أن يفهم طرح السؤال من جديد وبنفس البراءة، وعندما سأل للمرة العاشرة "أين نذهب يا بابا؟" لم أعد أرد...

لا أعرف تمامًا أين سنذهب، يا توماس المسكين

سنضيع. سنذهب الى الحائط مباشرة.

طفل معوق، ثم طفل ثان. ولماذا ليسوا ثلاثة...

ليس هذا ما كنت أنتظره.

أين نذهب يا بابا؟

سنسير فى الطريق السريع عكس الاتجاه.

نذهب إلى ألاسكا. سنداعب الدببة. سنجعلها تتهشنا.

سنذهب الى حيث يوجد عيش الغراب. سنجمع فطر الأمانيت ونصنع منه "أومليتًا".

سنذهب إلى حمام السباحة، وسنقفز من على شرفة الغطس العالية فى حمام السباحة وهو خال من الماء.

www.ibtesama.com

سنذهب إلى البحر. سنذهب إلى جبل سان ـ ميشيل. سنذهب للتنزه فى الرمال المتحركة. ندع أنفسنا تغوص فى الرمل. سنذهب إلى الجحيم.

وفى ثبات استمر توماس :"أين نذهب يا بابا". ربما يريد أن يحسن من رقمه. وبعد المرة المئة لم يعُد الأمر محتملاً مع توماس لا سبيل للملل فهو ملك جماعة التكرار (*).

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

(*) Running gang وردت بالإنجليزية بالأصل (المترجم).

www.ibtesama.com

أولئك الذين لم يخشوا أبدًا أن يرزقوا بطفل غير طبيعي يرفعوا أيديهم.

لم يرفع أحد يده.

الجميع يفكر فى ذلك مثلما يفكر فى الزلزال، فى نهاية العالم، شىء ما لا يحدث إلا مرة واحدة.

أنا كان لدى نهايتان للعالم.

www.ibtesama.com

عندما نشاهد طفلاً وليدًا نتعجب. يا لحسنه. ننظر إلى يديه، نحصى عدد أصابعه، ونسجل خمسة فى كل يد، نفعل الأمر نفسه مع قدميه، ونُصاب بالدهشة، ليسوا أربعة، ولا ستة، فقط خمسة. كل مرة هى معجزة. ولا أتحدث عن الداخل، الأكثر تعقيدًا.

أن يصبح لك طفل ، أمر يستحق المجازفة...لا نربح فى كل المرات. ولكننا نستمر فى فعل ذلك.

فى كل ثانية على الأرض، تلد امرأة طفلاً ... يتعين العثور عليها والحديث إليها لكى تتوقف، يضيف الكاتب الهزلى.

www.ibtesama.com

ذهبنا أمس إلى دير "آبيه ـ فيل" لنجعل الخالة مادلين الأخت فى "كارمل" [1] تشاهد ماتيو.

تم استقبالنا فى الردهة، غرفة صغيرة بيضاء جيرية. وفى الحائط الذى يوجد آخرها ثمة فتحة تغلقها ستارة سميكة. لم تكن الستارة حمراء، كما فى مسرح جوينول[2]، كانت سوداء. سمعنا صوتًا يأتى من خلف الستار يقول لنا:

"صباح الخير يا أطفال".

كانت الخالة مادلين. ولأنها كانت مترهبنة، لم يكن يحق لها أن ترانا. تناقشنا لحظة معها، ثم رغبت فى رؤية ماتيو. وطلبت منا أن نضع السلة الكبيرة التى تحمله أمام الفتحة، ثم أن نعود ثانية إلى الحائط. كان من حق الأخوات الراهبات رؤية الأطفال، الصغار منهم وليس الكبار. استدعت إذًا الأخوات ليظهرهن إعجابهن بابن أختها الصغير. وسمعنا حفيف الثياب، صرخات صغيرة وضحكات، ثم صوت الستار وهو يُفتح. وكانت حفلة تصفيق، دغدغة، زغزغة للطفل صنيعة الرب. "يا للطفه! انظرى يا أمى إنه يبتسم لنا،

---

(١) Carmel الكارمل نظام للرهبنة خاص بالكاثوليك (المترجم).

(٢) Guignol جوينول مسرح فرنسى يُقدم عروضًا شعبية (المترجم).

www.ibtesama.com

وكأنه ملاك،.يسوع صغير...!" كان ذلك صحيحًا لو لم يقلن أنه كان يبدو ناضجًا قبل الآوان.

بالنسبة للأخوات، الأطفال هم قبل أى شىء مخلوقات الرب، لا عيب إذًا فيهم. كل ما يصنعه الرب كامل. لم يكن يردن رؤية العيوب. بالإضافة إلى ذلك، فهو ابن أخت الأم الكبيرة. وفكرت للحظة أن أعود إليهن وأقول لهن لا داع للمبالغة.

ولم أفعل، وحسنًا أننى لم أفعل.

لأجل مرة واحدة يسمع فيها المسكين ماتيو مديحًا...

www.ibtesama.com

لن أنسى أبدًا أول طبيب واتته الشجاعة ليخبرنا أن ماتيو كان بالفعل غير طبيعى. كان يُدعى البروفيسور فونتان، وكان ذلك فى مدينة ليل. قال لنا إنه لا يجب أن نخدع أنفسنا. كان ماتيو متخلفًا، وسيبقى دومًا مُتخلفًا، وعلى كل حال لا يوجد ما يُمكن فعله، كان معوقًا، بدنيًا وذهنيًا.

لم ننم جيدًا فى تلك الليلة. حلمت بكوابيس حسبما أتذكر.

حتى حينها، ظلت التشخيصات غامضة. كان ماتيو مُتخلفًا، وقيل لنا تخلف بدنى فقط وأنه لن يتعرض لمشكلة ذهنية.

وحاول الكثير من الآباء والأصدقاء، غالبًا برعونة، طمأنتنا. كل مرة يرونه فيها يبدون اندهاشهم من التطور الذى حققه. أتذكر يومًا أننى قلت لهم إننى مندهش من التقدم الذى لم يحققه. كنت أنظر إلى أطفال الآخرين.

كان ماتيو رخوًا. لم يكن بوسعه أن يبقى رأسه ثابتًا إلى الأمام، كما لو أن عنقه من الكاوتش. وفى الوقت الذى كان ينهض فيه أطفال الآخرين، بتعاظم، ليطلبوا الطعام، كان ماتيو يبقى ممددًا. لم يضربه

www.ibtesama.com

الجوع أبدًا، وكان يلزم صبر ملاك لجعله يأكل، وغالبًا ما كان يتقيأ على الملاك.

www.ibtesama.com

لو كان الطفل الذى يولد معجزة، فإن طفلاً معوقًا معجزة بالمعنى العكسى.

ماتيو المسكين لم يكن يرى بوضوح، كان عظمه هشًا، ملوى القدمين، سريعًا ما أصبح أحدب، كان شعره أشعث، لم يكن جميلاً، وقبل كل شىء كان حزينًا.

كان من الصعب إضحاكه، كان يردد كأنشودة :"آه، هنا، هنا، ماتيو...آه هنا هنا ماتيو...". وأحيانًا كانت تنتابه أزمات بكاء تُثير الألم، كأنه يعانى بقسوة من شىء لا يُمكنه أن يُخبرنا به. دائمًا ما كنا نشعر وكأنه قد خبر حاله. كان سيفكر:"لو كنت قد علمت ما كنت أتيت".

كنا نود لو دافعنا عنه فى مواجهة مصيره الذى تعلق به. الأكثر فظاعة، أننا لم يكن بيدنا حيلة. لم يكن بوسعنا حتى مواساته، أن نقول له إننا نحبه كما هو، فقد قيل لنا إنه كان أصم.

عندما أفكر أننى مؤلف أيامه، أيام مخيفة قضاها على الأرض، أننى أنا من جئت به، أرغب فى طلب الصفح منه.

www.ibtesama.com

كيف نتعرف إلى طفل غير طبيعى؟

يشبه طفلاً غير محدد المعالم، مشوهًا.

كما لو كنا ننظر إليه عبر زجاج أكمد.

لن يصبح واضحًا أبدًا.

www.ibtesama.com

طفل غير طبيعى لا يملك حياة مُضحكة جداً فهى تبدأ سيئة منذ البداية.

المرة الأولى التى يفتح فيها عينيه يشاهد الأب والأم، وجهين يميلان فوق مهده وينظران إليه وهما مصدومان بشدة. كانا يفكران حينها: "هل هذا ما فعلناه؟" لا يبدو أنهما فخوران بما يكفى.

وفى بعض المرات، يتبادلان الشتائم وهما يلقيان بالمسئولية على بعضهما البعض. يغادران العُش، ويُحطان بالمسئولية على شجر النسب، جد قديم أوعم عجوز مدمن خمر.

وأحيانًا، يفترقان.

www.ibtesama.com

فرووم فرووم" هذا ما كان يصنعه ماتيو دومًا بفمه. يجعل من نفسه سيارة. والأسوأ، عندما كان يواصل ذلك فى الأربع والعشرين ساعة دو مانس(*). عندما كان يسير طوال الليل دون خافض للصوت.

ذهبت أكثر من مرة أطلب منه أن يوقف المُحرك دون نجاح. مستحيل أن نقنعه.

لم أستطع النوم، سأستيقظ مبكرًا غدًا. أحيانًا، تراودنى أفكار مرعبة، أن ألقى به من النافذة، ولكن كنا فى الدور الأرضى فلن يُفيد ذلك فى شىء، وسنستمر فى سماعه.

واسيت نفسى بالتفكير فى الأطفال الطبيعيين الذين يحولون دون نوم آبائهم.

لقد نالوا ما استحقوا.

(*) سباق معروف للسيارات فى فرنسا (المترجم).

www.ibtesama.com

لايستطع ماتيو أن ينهض. كانت تنقصه القوة العضلية، كان رخوًا كعروسة من الشيفون. كيف سينمو؟ إلى ماذا يصيرعندما يكبُر؟ هل يلزم أن نضع له دُعامة؟

فكرت فى أنه سيصبح عامل جراج. عامل جراج مُمددًا. مثل أولئك الذين يصلحون أسفل السيارات فى الجراجات عند غياب الرافعة.

www.ibtesama.com

لم يكن لدى ماتيو وسائل تسلية كثيرة. لم يكن يشاهد التليفزيون، لم يكن فى حاجة إليه حتى يتخلف ذهنيًا. وبديهيًا كان لا يقرأ. شىء واحد فقط كان يبدو أنه يسعده نوعًا، الموسيقى. عندما يسمعها، كان يضرب وفقًا للإيقاع على كرته كأنها طبلة.

كانت كرته تشغل مساحة كبيرة من حياته. كان يقضى وقته فى إرسالها إلى مكان لا يستطيع أن يستعيدها منه وحده. كان إذًا يأتى فى طلبنا، ويقودنا من اليد إلى حيث ألقاها. ونستعيد الكرة ونعطيها له. وبعد خمس دقائق، يأتى فى طلبنا ثانية، كان قد ألقى الكرة من جديد. كان بوسعه أن يُكرر نفس اللعبة لعشرات المرات فى اليوم.

كانت دون شك الطريقة الوحيدة التى وجدها كى يخلق علاقة معنا، كى نمسكه من اليد.

الآن ذهب ماتيو فى إثر كرته وحده. كان قد ألقاها بعيداً جداً. فى مكان لن نستطيع أن نعينه على استعادتها منه.

www.ibtesama.com

يحل الصيف قريبًا. الأشجار أثمرت. تنتظر زوجتى طفلاً ثانيًا، الحياة جميلة. سيأتى مع قدوم المشمش. ننتظر بفارغ الصبر وبشيء من القلق. مؤكد كانت زوجتى قلقة، ولكى لا تصيبنى بالجزع لم تتجاسرعلى إخبارى. أما أنا، فتجرأت. لم يكن بوسعى الاحتفاظ بجزعى لنفسي، لأبد لأحد أن يُشاركنى. لم أستطع أن أمنع نفسى من ذلك. أتذكر أننى قلت لها بأسلوبى المعتاد: " تخيلى أنه أيضًا غير طبيعى." لم أرغب فقط فى تهيئة الجو، لكن بالأحرى كنت أطمئن نفسي وأتحاشى المصير. فكرت جيدًا أن هذا لن يحدث ثانية. أعلم أن من يحب كثيرًا يُعذب كثيرًا، لكننى لم أتصور أن الرب يحبنى كثيرًا، كنت معتدًا بذاتى لكن ليس إلى هذه الدرجة.

بالنسبة لماتيو، لابد أن الأمر كان حادثًا عارضًا والحادث لا يقع إلا مرة واحدة، وفى الأساس فإنه لن يتكرر.

يبدو أن المآسى تحل بمن لا يتوقعونها، بمن لا يفكرون فيها.

لهذا، ولكى لا يحدث ذلك فكرنا فيه.

www.ibtesama.com

ولد توماس، رائعًا، أبيض أسود العينين، نظرته متقدة، مبتسمًا دومًا. أبدًا لن أنسى سعادتى.

كان مكتملاً، شىء ثمين وهش. شعره فاتح يشبه أحد ملائكة بوتشيللى(*). لم آمل من أخذه بين ذراعى، طبطبته، اللعب معه، إضحاكه.

أتذكر أننى أسررت لأحد أصدقائى أن هذه المرة أدركت أن طفلى طبيعى.

(*) Bottcelli بوتشيللى: رسام ونحَّات إيطالى (١٥١٠م ـ ١٤٤٥م) (المترجم).

www.ibtesama.com

أسرعت فى التفاؤل. توماس كان هشًا وكان كثيرًا ما يمرض واضطرننا للذهاب به إلى المستشفى أكثر من مرة.

وفى أحد الأيام، تجرأ طبيبنا المعالج وأخبرنا الحقيقة. توماس هو أيضًا معوق مثل أخيه.

ولد توماس بعد ماتيو بعامين.

وسارت الأمور فى مجراها الطبيعى، سيتشابه توماس مع أخيه شيئًا فشيئًا. هذه نهايتى الثانية للعالم.

كانت يد الطبيعة معى قاسية.

حتى قناة TFI (*) لكى تجعل البطل مؤثرًا، ولكى تجعل الدموع تنساب من المآقى لن يكون بوسعها أن تضع مثل ذلك الموقف فى فيلم تليفزيونى لخوفها من المبالغة فلا تؤخذ على محمل الجد وتُثير الضحك فى نهاية الأمر.

أعطتنى الطبيعة بامتياز دور الأب المثير للإعجاب.

(*) القناة الأولى فى التليفزيون الفرنسى (المترجم).

www.ibtesama.com

هل أمتلك المقومات النفسية للدور؟

هل سأثير الإعجاب؟

هل سأدفع إلى البكاء أم إلى الضحك؟

www.ibtesama.com

أين نذهب يا بابا؟

سنذهب إلى كنيسة لورد

شرع توماس فى الضحك وكأنه فهم.

سعت جدتى المستفيدة من مساعدة سيدة أعمال، فى إقناعى بالذهاب إلى لورد مع ولدى الإثنين. ستدفع هى ثمن الرحلة. كانت تأمل فى معجزة.

لورد بعيدة، اثنتا عشرة ساعة بالقطار مع طفلين لا نستطيع أن ننصحهما بالتعقل. سيكونان أكثر تعقلاً عند العودة قالت جدتى. لم تتجاسر على قول :"بعد المعجزة".

على كل حال، لن يكون ثمة معجزة. لو كان الأطفال المعوقون، كما سمعت من قبل، عقابًا من السماء، أرى صعوبة فى تدخل مريم العذراء بمعجزة. دون شك لن ترغب فى التدخل فى قرار اتخذ فى السماء العُلا. وهناك، فى الحشد، فى الطواف، فى الليل، كان يمكن أن أفقدهما وألا أعثر عليهما أبداً.

هل سيكون ذلك هو المعجزة؟

www.ibtesama.com

عندما يكون لديك أطفال معوقون يتعين عليك التحمل فستسمع، فوق ذلك، الكثير من الحماقات.

ثمة من يقول نستحق ما حدث لنا. أحدهم أراد أن يحكى لى بحسن نية قصة شاب طالب فى مدرسة إكليريكية. كان سيعين قسيسًا حتى التقى فتاة وقع فى هواها بعنف، ترك الدرس وتزوجا. وأنجبا طفلاً وكان معوقًا. نالا ما استحقا.

ثمة من يقول إن إنجابنا طفلين معوقين لم يكن صدفة. "كان ذلك بسبب من والدك..."

فى هذا الليل، وعبر حلم، قابلت والدى فى إحدى الحانات الصغيرة. قدمت له طفليى، لم يكن قد تعرف عليهما أبدًا فقد مات قبل مولدهما.

"إيه يا أبى، انظر".

من هما؟

حفيداك، ما رأيك فيهما؟

ليسا مدهشين

هذا بسببك

ماذا تقول؟

www.ibtesama.com

بسبب الجعة. تعرف جيدًا تأثير الآباء عندما يشربون."

وأدار لى ظهره وطلب كأسًا أخرى من الجعة.

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

ثمة من يقول: "كان يتعين علىَّ خنقهما عند ميلادهما كقطة." لم يحسنوا التخيل. فنحن ندرك جيدًا أنهم أبدًا لم يخنقوا قطًا.

عندما يولد طفل، لا نعلم يقينًا ما إذا كان معوقًا إلا لو كان لديه تشوه عضوي.

طفلاى عندما كانا لا يزالان صغيرين كانا كثيرى الشبه من بقية الأطفال. ولأنهما لم يكن بوسعهما الطعام وحدهما، ولأنهما لم يكن بمقدورهما الكلام، كانا يبتسمان أحيانًا خصوصًا توماس أما ماتيو كان يبتسم أقل...

عندما يكون لدينا طفل معوق لا نكتشف ذلك دومًا على الفور. هو مثل مفاجأة.

ثمة أيضًا من يقولون: "الطفل المعوق هدية من السماء." لا يقولون ذلك لأجل الضحك هم أناس نادرًا ما يكون لديهم أطفال معوقون.

عندما نتلقى هذه الهدية نرغب أن نقول للسماء: "آه! لا يتعين ذلك."

www.ibtesama.com

تلقى توماس عند ميلاده هدية جميلة جدًا، قدح معدنى، طبق وملعقة صغيرة من الفضة لإطعام الأطفال. ثمة أصداف مجسمة للقديس جاك على الملعقة وحول الطبق. أهداها له إشبينه ، رئيس مجلس إدارة أحد البنوك وكان من أصدقائنا المقربين.

عندما كبر توماس واكتشفت إعاقته سريعًا لم يتلق من إشبينه هدية أبدًا. كان من المؤكد لو كان طبيعيًا أن يتلقى قلمًا جميلا بسن ذهب ثم مضرب تنس، كاميرا...لكن كونه ليس طبيعيًا لم يكن من حقه شيء أبدًا. لا نستطيع أن نحقد على إشبينه كان قد قال فى نفسه: "الطبيعة لم تمنحه هدية، فليس من العقل أن أمنحه أنا إياها." على كل حال، لم يكن ليعرف ما الذى سنفعله بها.

ما زلت أحتفظ بطبق إطعام الطفل أستخدمه كمنفضة سجائر. توماس وماتيو، لا يدخنان ولن يكونا، هما مدمنين.

كل يوم، نعطيهما مهدئات حتى نجعلهما مستكينين.

www.ibtesama.com

لابد لأب له طفل معوق أن تكون سحنته حزينة. لابد وأن يحمل صليبه بقناع من ألم. ومؤكد أنه سيضع أنفًا أحمر ليثير الضحك. ولم يكن من حقه الضحك، سيكون لذلك مذاق سيئ لا يمكن تصوره. وعندما يكون له طفلان معوقان يتضاعف الأمر، لابد وأن يكون له هيئة بائسة مضاعفة.

وعندما لا يتوفر لنا الحظ، يتعين امتلاك المقومات البدنية للوظيفة، اتخاذ هيئة البؤس مسألة خبرة حياتية.

غالبًا ما تنقصنى الخبرة الحياتية. أتذكر أننى طلبت يومًا مقابلة رئيس أطباء المعهد العلاجى التربوى؛ حيث وضعا ماتيو وتوماس. شاركته قلقى: تساءلت أحيانًا ما إذا كان توماس وماتيو طبيعيين بشكل كامل...

ولم يجد هذا غريبًا.

كان مُحقًا، لم يكن غريبًا. لم يفهم أن تلك كانت الطريقة الوحيدة التى وجدتها للبقاء حيًا.

وكما سخر سيرانو دو برجراك(*) من أنفه، سخرت أنا من طفلى. هذه ميزتى كأب.

(*) Cyrano de Bergrac فيلسوف وكاتب فرنسى (١٦٥٥م - ١٦١٩م) كان يسخر من أنفه واستوحت أفكاره فى مسرحية كوميدية حملت اسمه (المترجم).

www.ibtesama.com

دعيت للمشاركة فى برنامج تليفزيونى لتقديم شهادتى بصفتى أبًا لطفلين معوقين.

تكلمت عن طفْلىَّ، وأكدت حقيقة أنهما غالبًا ما يضحكاننى بتصرفاتهما غير المعقولة وأنه لا يتعين حرمان الأطفال المعوقين من امتياز أنهم يضحكوننا.

عندما يُلطخ طفل نفسه وهو يأكل كريمة الشكولاتة الكل يضحك، أما لو كان طفلاً معوقًا لا نضحك. هذا لا يُضحك أحدًا أبدًا، لا نرى أبدًا وجوهًا تضحك عند مشاهدة هذا أو فقط ضحكات لبعض الحمقى يسخرون.

شاهدت البرنامج المسجل.

قطعوا كل ما تعلق بالضحك.

اعتبرت الإدارة أنه لابد من مراعاة الآباء. فهذا قد يصدمهم.

www.ibtesama.com

حاول توماس أن يرتدى ملابسه وحده. وضع الآن قميصه لكن لم يستطع أن يزرره. يشرع فى هذا الوقت فى ارتداء البلوفر. كانت ثمة فتحة صغيرة به. واختار الصعب، جاء فى ذهنه أن يرتديه ليس بتمرير رأسه من الياقة كما كان سيفعل طفل طبيعى لكن عبر الفتحة الصغيرة.

لم يكن الأمر بسيطًا، كان يتعين أن تكون الفتحة بوسع خمسة سنتيمترات. استمر ذلك لمدة طويلة. ورأى أننا نشاهده وأننا شرعنا فى الضحك. فى كل محاولة كانت الفتحة تتسع، لم تفتر همته، وكان يكرر الأمر كثيرًا عندما يرانا وقد ازداد ضحكنا. وبعد عشر دقائق كاملة، نجح. يخرج وجهه المتألق من البلوفر عبر الفتحة.

انتهى الاستعراض. ورغبنا فى التصفيق.

www.ibtesama.com

عيد الميلاد يقترب، كنت فى متجر للألعاب. وأراد أحد البائعين مساعدتى بشكل لا مفر منه فى حين أننى لم أطلب منه شيئًا.

"لعبة لطفل يبلغ كم من العمر؟"

وأجبته بتهور. ماتيو ١١ عامًا وتوماس٩ أعوام.

واقترح البائع لعبًا علمية لماتيو. أتذكر صندوقًا يسمح لصاحبه أن يصنع جهاز استقبال لراديو، يوجد داخله حديد يمكن لحمه معًا وممتلئًا بالأسلاك الكهربية. ولتوماس، خريطة لفرنسا من البازل بكل التقسيمات وأسماء المدن وقد قطعت والتى يتعين وضعها معًا. وللحظة تخيلت جهازًا للراديو قام ماتيو بتجميعه وخريطة لفرنسا كونها توماس، وقد وضعت ستراسبورج على حافة المتوسط، برست فى اوفرجن ومارسيليا فى ليه أردن.

اقترح علىَّ أيضا لعبةً الكيميائى الصغير التى تتيح إجراء التجارب فى المنزل، نيران وتفجيرات بكل الألوان. ولماذا لا الانتحارى الصغير بحزامه من المتفجرات لحل المشكلة بشكل نهائى...

سمعت شرح البائع بكثير من الصبر وشكرته ثم قررت. أخذت ككل عام علبة مكعبات لماتيو وسيارات

www.ibtesama.com

صغيرة لتوماس. لم يفهم البائع، وقام بلف علبتين بهديتين دون أن يتفوه بشيء. وشاهدني أرحل بالعلبتين خاصتي. ورأيته وانا أخرج يومئ لزميله بإشارة، صوب إصبعه على جبهته، كأنه يقول: "هو مخبول..."

www.ibtesama.com

توماس وماتيو لم يعتقدا أبدًا فى بابا نويل ولا فى يسوع الصغير. وكانت لديهما أسباب وجيهة. لم يكتبا قط رسالة يطلبا منه فيها شيئًا ما. وكانا فى وضع يمكنهما من معرفة أن يسوع الصغير لا يمنح الهدايا. وحتى لو منحها فمن الأفضل الارتياب منها.

لم يكن من الممكن الكذب عليهما. لم يكن من الممكن الاختباء كى نذهب لنشترى لهما المكعبات والسيارات الصغيرة، لم يكن من الممكن التظاهر.

لم نصنع أبدًا مزودة المسيح ولا شجر التنوب.

لم يكن ثمة شمعة خوفًا من الحريق.

ولا نظرة طفل مبهور.

عيد الميلاد، كان يومًا مثل غيره. لم يكن قد ولد بعد، الطفل يسوع.

www.ibtesama.com

ثمة جهود تُبذل حاليًا لدمج المعوقين فى سوق العمل. يتاح للشركات التى توظفهم ميزات مالية وتخفيض للنفقات. يالها من مبادرة جيدة. أعرف مطعمًا فى الإقليم وظف شبابًا متخلفين ذهنيًا بدرجة بسيطة، هم مؤثرون يخدمونك بحسن طوية مفرطة، لكن انتبهوا من الأطباق التى بها صلصة أو ضعوا إذًا مشمعًا.

لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير فى ماتيو وتوماس وهما فى سوق العمل.

ماتيو، الذى يصنع غالبًا "فروم ـ فروم"، يمكن أن يصبح سائقًا على الطرق، سيعبر أوروبا وهو قابع تحت المقود بشبه مقطورة عليها براميل كثيرة وبزجاج أمامى مُغطى بدمى من الدببة.

توماس الذى يحب أن يلعب بطائرات صغيرة ويضعها فى صناديق يمكن أن يُنظم الطيران فى السماء، سيكون مُكلفًا بهبوط الحاملات الجوية الكبيرة.

ألا تخجل أنت يا جون لوى أبيهما أن تسخر من طفليك الصغيرين اللذين لا يستطيعان حتى أن يدافعا عن نفسيهما؟

لا. هذا لا يمنع المشاعر.

www.ibtesama.com

فى وقت ما كانت لدينا خادمة مقيمة للاعتناء بالطفلين. كانت تدعى جوزيه، كانت فتاة من الشمال، شقراء بمسحة ملونة، كانت ريفية مُزارعة بوسعنا القول. كانت قد عملت لدى العائلات الكبيرة فى ضاحية ليل. طلبت منا ابتياع جرسًا لاستدعائها. أتذكر أنها سألت عن مكان الفضيات. فى مكانها السابق، كانت معتادة على توضيب الفضيات مرة كل أسبوع. قالت لها زوجتى إنها كانت فى الريف، لكن يوما جاءت جوزيه إلى الريف...

كانت ممتازة مع الطفلين، بحس جيد. كانت تتعامل معهما كما لو أنها مع أطفال طبيعيين، دون هشاشة، دون شفقة زائدة، كانت تعرف أن تعاملهما بشدة وعنف عندما يتطلب الأمر. أظن أنها كانت تحبهما كثيرًا.

عند ارتكابهما لحماقات كنت أسمعها تقول لهما: "لكن ثمة قشًا فى رأسيكما!"

كان هذا التشخيص الصحيح بامتياز. كانت جوزيه مُحقة، بالتأكيد ثمة قش فى الرأس، حتى الأطباء لم يروه.

www.ibtesama.com

لم يكن ألبوم صورنا كبيرًا كان منبطحًا كسمكة اليمندة. لم يكن لدينا صوركثيرة لهما. الطفل الطبيعى نصوره بكل أنواع الملابس، فى كل الأوضاع، فى كل المناسبات، نراه وهو يطفئ شمعته الأولى، وهو يخطو أولى خطواته، وهو يغتسل لأول مرة. ننظر إليه بحنان. نتابع كل لحظة فى نموه. الصبى المعوق لا نرغب فى متابعة تدهوره.

عندما أشاهد صور ماتيو القليلة جدًا، أدرك أنه لم يكن بالغ الجمال حيث؛ كنا نشاهد جيدًا أنه ليس طبيعيًا. أما نحن والداه فلم نكن نري ذلك. كان جميلا فى نظرنا فهو ابننا البكر. على كل حال، نقول دومًا: " طفل جميل". لا يحق لطفل أن يكون قبيحًا، وفى كل حال لا يحق لنا أن نخبره بذلك.

عندى صورة لماتيوس أحبها كثيرًا. كان سيبلغ عامه الثالث. وضعته فى منفذ مدفأة كبيرة، كان جالسًا على مقعد صغير وسط أثفية الحطب والرماد، هناك حيث نشعل النار. وفى موضع الشيطان كان ثمة ملاك صغير يبتسم.

هذا العام أرسل لى أصدقائى كبطاقة معايدة صورة لهم وهم يحيطون بأطفالهم. الكل كان سعيدًا

www.ibtesama.com

كل العائلة تضحك. صورة كان من الصعب جدًا أن تتحقق عندنا. كان يلزم قبل ذلك أن نجعل توماس وماتيوس يضحكان بالأمر. وبالنسبة لنا، الوالدين، لم نكن نرغب دائمًا فى الإضحاك.

ثم إننى لا أرى معنى لعبارة: "عام سعيد" المُذهبة المكتوبة بالإنجليزية بالضبط أسفل رأسى طفلى الصغيرين الأشعثين والمنبعجين. يمكن أن يشبه ذلك غلاف هارا كيرى لرايزر(*) أكثر من أن يكون كارتًا للمعايدة.

(*) Hara Kiri هارا كيرى جريدة فرنسية ساخرة تأسست عام ١٩٦٠ كانت تتميز بأغلفتها التى يرسمها السيناريست الفرنسى جون مارك رايزر Reisser (١٩٤١ م ـ ١٩٨٣م)

www.ibtesama.com

قلت لجوزيه: أحد الأيام وقد رأيتها تشرع فى فتح مغسلة الصحون بمحجمة إننى سأذهب لشراء واحدة أخرى. قالت لى "لماذا اثنتين يا أستاذ؟ واحدة تكفى؟"

أجبتها:

"أنسيت أن لدى طفلين يا جوزيه."

لم تفهم، عندئذ شرحت لها أنه عندما كنا نفسح ماتيو وتوماس، وكان يتعين أن نعبر جدول ماء كان عملياً أن نستفيد من المحجمة. كنا نثبتها على رأس الطفلين. كان يكفى عندئذ مسكهما من الكُم لرفعهما ونمكنهما من العبور من فوق الجدول دون أن تبتل الأقدام. كان ذلك أكثر عملية من أخذهما بين الذراعين.

كانت مرتعبة.

ومن ذلك اليوم اختفت المحجمة. لابد أنها خبأتها...

www.ibtesama.com

ماتيو وتوماس نائمان، كنت أنظر إليهما.

بماذا يحلمان؟

هل يحلمان مثل الآخرين؟

ربما بالليل، يحلمان أنهما نبيهان.

ربما بالليل، يثأران ويحلمان أحلام نابغتين.

ربما بالليل، يصبحان مهندسين، عالمين يبحثان ويجدان.

ربما بالليل، يكتشفان قوانين، مبادئ، فرضيات، نظريات.

ربما بالليل، يجريان حسابات معقدة لا تنتهى.

ربما بالليل، يتحدثان اليونانية واللاتينية.

لكن بمجرد طلوع النهار ولكى لا يرتاب أحد وينعمان بالهدوء يتخذان ثانية هيئة الأطفال المعوقين. ولكى نتركهما فى سلام يتظاهران بعدم القدرة على الحديث عندما نوجه لهما الكلام يبدوان وكأنهما لا يفهمان حتى لا يضطران للرد. لم يرغبا فى الذهاب إلى المدرسة، القيام بالواجب، حفظ الدروس.

www.ibtesama.com

يتعين فهمهما، كانا مجبرين أن يكونا جادين طوال الليل لأنهما كانا فى حاجة للراحة فى النهار. لذلك يتحامقان.

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

الشيء الوحيد الذى نجحنا فيه هو اسميهما. اخترنا ماتيو وتوماس، اخترنا الأسماء المناسبة مع تلميح إلى الدين. لأننا لا يمكن أن نعلم ما سيحدث والأفضل دوماً أن نكون مثل الجميع.

لو كنا قد فكرنا أن نستدر نعم السماء فإننا لم نفعل ذلك بقوة.

لاتتلاءم بنيتكما، عندما أفكر فى أذرعكم وسيقانكم الصغيرة، مع تسميتكما طرازان... لا أستوعب رؤيتكما فى الأدغال تطيران من فرع إلى آخر، تتحديان الوحوش الدموية، وبقوة الذراعين تفصلان فك الأسد أو تلويان رقبة جاموسة.

أنتم بالأحرى طارزون، عار الغابة.

لكن لتعلما أنى أفضلكما عن طرازان المتغطرس.

أنتما تهزان المشاعر أكثر يا عصفورى الصغيرين. أنتما تذكراننى بـ "إى تى(*)".

(*) «إى تى» شخصية فضائية بطلة فيلم خيال علمى مشهور يحمل اسمها نفسها (المترجم).

www.ibtesama.com

لدى توماس نظارة، نظارة صغيرة حمراء تناسبه جدًا. كان له بعفريته مظهر تلميذ أمريكى. كان جميلا.

لا أتذكر كيف أدركنا أنه لا يرى جيدًا.

الآن بنظارته لابد أن يكون كل ما يراه واضحًا، سنوبى، رسوماته،...

وانتنى للحظة سذاجة أنه بوسعه القراءة أخيرًا. كنت سأشترى له أولاً القصص المصورة، ثم روايات سلسلة "سينى دو بيست" (١)، ثم ألكسندر دوماس(٢)، جيل فيرن، و" مولن الكبير"، ثم بعد ذلك بروست ولماذا لا.

لا، لن يكون بوسعه القراءة أبدًا. حتى لو كانت الحروف على الصفحات قد أصبحت أكثر وضوحًا فستظل مبهمة دومًا فى ذهنه. لن يعلم قط أن كل الكتابة الدقيقة تلك التى تُغطى صفحات الكتب تقص علينا حكايات، وبوسعها أن تنقلنا إلى مكان آخر. هو أمامها مثلى فى مواجهة الهيروغليفية.

---

(١) Signe de Piste «علامة الطريق» سلسلة روايات فرنسية للشباب صدرت منذ عام ١٩٣٧م (المترجم).

(٢) Le Grand Meaulnes «مولن الكبير» الرواية الفرنسية الوحيدة التى كتبها الفرنسى آلان فورنييه وصدرت عام ١٩١٣م (المترجم).

www.ibtesama.com

لابد وأنه يظن أن هذه رسومات، رسومات صغيرة لا تعنى شيئًا. أو أنه يُفكر أنها صف من النمل وهو ينظر إليها مبهورًا أنها لا تفر عندما يمر بيده عليها ليدهسها.

www.ibtesama.com

لاستدرار عطف المارة يعرض المتسولون بؤسهم، رجلهم المعوجة، جدعاتهم، كلبهم العجوز، قطتهم وقد قرضها العث، أطفالهم. كان بوسعى أن أفعل مثلهم. أنا لدى طُعمان جيدان لهز المشاعر، كان يكفى أن أضع على طفّلى معطفهما الرث الصغير الذى له لون البحر. كان بوسعى الجلوس معهما على الأرض على ورقة من الكارتون واتخذ هيئة المنهك، يمكن أن أمتلك آلة موسيقية بألحان متنوعة أخاذة، ويضرب ماتيو على طبلته وفقًا للإيقاع.

وأنا الذى أردت دومًا أن أكون كوميديانًا، بوسعى أن أردد "موت الذئب" لفيجنى(*) فى الوقت الذى يلعب فيه توماس دور الذئب الذى يبكى، "إنه يبكى، لولو"...

ربما سيتأثر الناس جدًا وتهتز مشاعرهم بالأداء. ويمنحوننا نقودًا لكى نذهب ونحتسى البيرة فى صحة جدهما.

(*) قصة للشاعر والروائى الفرنسى Vigny فيجنى (١٧٩٧م - ١٨٦٣م) كتبها عام ١٨٣٨ عن المعاناة والموت (المترجم).

www.ibtesama.com

ارتكبت حماقة واشتريت سيارة بنتلى. قديمة ماركة v1, 22 cv تستهلك عشرين لترًا من البنزين لكل مائة كم. زرقاء فاتحة فى أسود .، الداخل كان من الجلد الأحمر. لوحة القيادة من عروق خشب الصنوبر، وبها الكثير من العدادات المستديرة وعلامات منبهة مضيئة مخططة كأنها أحجار كريمة. كانت جميلة مثل العربات الفاخرة التى تجرها الجياد، عندما تتوقف كنا نتوقع أن نرى ملكة إنجلترا وهى تهبط منها.

كنت أذهب بها إلى المعهد العلاجى التربوى لأخذ توماس وماتيو.

أجلسهما فى المقعد الخلفى كأميرين.

كنت فخورًا بسيارتى، الجميع ينظر إليها باحترام ساعين فى رؤية أحد العابرين من المشاهير فى المقعد الخلفى.

كانوا سيحبطون لو شاهدوا من بالخلف. ففى مكان ملكة إنجلترا، ثمة طفلان صغيران أحدبان سال لعابهما وأحدهما، النابغة يردد: "أين نذهب يا بابا؟، أين نذهب يا بابا؟ ..."

www.ibtesama.com

أتذكر فى إحدى المرات واتنى وأنا على الطريق إغواء الحديث معهما مثل أب يتكلم مع أطفاله الذين ذهب ليعيدهم من المدرسة. ابتكرت أسئلة تخص دراستهم. "حسنًا ماتيو كم حصلت من الدرجات بعد عرضك للواجب المتعلق بمونتانى؟(*)" وأنت يا توماس كم خطأ وقعت فيه فى موضوعك الخاص بمادة اللاتينية؟ وكيف كان الأمر مع حساب المثلثات؟"

وفى حين كنت أحدثهما عن دروسهما، نظرت فى المرآة الأمامية إلى رأسيهما الصغيرين الأشعثين ذوى النظرة المشوشة. ربما تمنيت أن يجيبانى دون هزل أننا سنوقف عند هذا الحد ملهاة الأطفال المعوقين، هذه اللعبة مُحزنة وسنصبح جادين مثل الجميع...، أنهما أخيرًا سيصبحان مثل الآخرين...

انتظرت الإجابة للحظة.

قال توماس لأكثر من مرة: "أين نذهب يا بابا؟ أين نذهب يا بابا؟" فى حين كان ماتيو يفعل "فرووم ـ فرووم"...

لم تكن لعبة.

(*) Montagne مونتانى: كاتب فرنسى (١٥٣٣م ـ ١٥٩٢م) (المترجم).

www.ibtesama.com

كبر توماس وماتيو، بلغا أحد عشر وثلاثة عشر عامًا. فكرت أنهما يومًا ما سيكون لهما لحية يتعين حلقها. تخيلتهما للحظة بلحيتين.

فكرت أنهما عندما يكبران سأمنح لكليهما ماكينة حلاقة كبيرة بنصل قصير. نغلق عليهما الحمام ونتركهما يتدبران أمرهما بماكينتهما للحلاقة. وعندما لم نعد نسمع شيئًا نذهب بالجنفاص لننظف الحمام.

حكيت ذلك لزوجتى لأجعلها تضحك.

www.ibtesama.com

فى نهاية كل أسبوع، يعود توماس وماتيو من معهدهما العلاجى التربوى وقد غطتهما الكشطات والخدشات. لابد وأنهما تعاركا بضراوة. أو كما تخيلت أنه فى معهدهما الموجود فى الريف ومنذ أن حُظرت معارك الديوك ولكى يتسلى معلموهما ويلطفوا نهاية شهرهم ينظمون معارك بين الأطفال.

عندما نشاهد عمق الجروح نتأكد أنهم ثبتوا فى أصابع الأطفال أظافرمن المعدن. لم يكن هذا أمرًا جيدًا.

لابد أن أكتب لإدارة المعهد العلاجى التربوى لكى يتوقف هذا.

www.ibtesama.com

توماس لن يغار بعد ذلك من شقيقه، سيكون لديه هو الآخر مشد للظهر. مشد معدنى من الكروم والجلد يهز المشاعر. هو أيضًا يشرع فى التدهور، أن يصبح أحدب مثل أخيه. سريعًا سيصيران مثل العجائز الضعفاء، الذين أمضوا حياتهم فى جمع البنجر من الحقول.

المشدات فادحة الثمن، مصنوعة بالكامل يدويًا فى ورشة بيت لابتر المتخصصة بباريس بالقرب من لاموت بيكات. كل عام ولأنهما يكبران كان يتعين اصطحابهما للورشة لأخذ المقاس لأجل مشد جديد. وكانا دومًا ينقادان مستسلمين.

عندما كنا نضع لهما المشد كانا يشبهان المحاربين الرومان بدروعهما أو كانا مثل إحدى شخصيات رسوم الخيال العلمى المصورة بسبب الكروم الذى يلمع.

عندما نأخذهما بين الذراعين ينتابنا انطباع بأننا نمسك بإنسان آلى.

فى المساء، كنا بحاجة لمفتاح إنجليزى كى نضع عنهما ملابسهما. عندما نسحب مشديهما كنا نرى على عنقيهما العاريين آثارًا بنفسجية تركتها الدعامة

www.ibtesama.com

المعدنية وكنا نجد ثانية عصفورين صغيرين منزوعى الريش يرتعشان.

www.ibtesama.com

أخرجت للتليفزيون أكثر من برنامج عن الأطفال المعوقين. أتذكر أولها، كنت قد بدأت بـ"الستوك شوتس"[1] لمسابقة أجمل بيبي. وكان أندريه داسارى[2] يُغنى فى الخلفية الصوتية: "غنوا للشباب الذى وهو يسخر من المجد، يطير نحو النصر..."

كانت لى نظرة مختلفة لمسابقات أجمل بيبي. دوماً كنت لا أفهم لماذا نحتفل ونكافئ من لديهم أطفال جملاء كما لو أن ذلك مسئوليتهم. لماذا إذًا لا نُعاقب ونوقع غرامات على أولئك الذين لديهم أطفال معوقون؟

ما أزال أتذكر تلك الأمهات المتغطرسات والواثقات من أنفسهن يلوحن بتحفتهن أمام المحكمين.

رغبت أن يطرحنه.

---

(١) مجموعة من الصور تعرض مصحوبة بصور أرشيفية على خلفية غنائية.

(٢) Andre Dasary أندريه داساري: مغنى فرنسى (١٩١٢م ـ ١٩٨٧م).

www.ibtesama.com

عدت مبكرًا إلى الشقة. جوزيه بمفردها فى حجرة الطفلين، السريران شاغران والنافذة مشرعة عن آخرها. ملت إلى الخارج ومشوشًا نظرت بالأسفل جزعًا.

كنا فى الطابق الرابع عشر.

أين الطفلان؟ لا صوت لهما. ألقت جوزيه بهما من النافذة. لابد وأنها كانت قد انتابتها نوبة من الجنون، قرأنا ذلك أحيانًا فى الصحف.

سألتها جادًا: "جوزيه لماذا ألقيت الطفلين من النافذة؟"

قلت ذلك للضحك ولطرد الفكرة.

لم ترد، لم تفهم، كانت مذهولة.

وواصلت بنفس النبرة: "جوزيه ما فعلتيه ليس جيدًا. أعلم جيدًا أنهما معوقان، ولكن ليس هذا سببًا لإلقائهما."

جوزيه كانت مرتعبة ونظرت إلىَّ دون أن تتفوه بشيء، أظن أنها كانت خائفة منى. ذهبت لحجرتنا وعادت بالطفلين فى يديها ووضعتهما أمامى.

هما بخير.

www.ibtesama.com

جوزيه تهتز بكاملها لابد وأنها كانت تقول فى نفسها: "ليس مدهشًا أن لدى السيد أطفالاً مجانين نوعًا."

www.ibtesama.com

لن يعرف ماتيو وتوماس أبدًا باخ، شوبارت، برامز، شوبين،...

لن يستفيدا قط من خير هؤلاء الموسيقيين الذين فى بعض الصباحات الحزينة عندما يكون المزاج كئيبًا ونظام التدفئة معطلا يساعدوننا على الحياة. لن يعرفوا أبدًا القشعريرة التى تسببها ألحان موتسارت المتمهلة، الطاقة التى ينقلها هدير بيتهوفن وهجوم ليتز المباغت، فاجنر الذى يجعلك ترغب فى النهوض والذهاب لغزو بولونيا، رقصات باخ المنشطة، أغنية شوبرت المنتحبة التى تُسيل الدموع الفاترة...

أحببت فعلا أن أجرب معهما أجهزة الهاى فاى الصوتية، وأن أشترى لهما واحدة. أن أؤسس لهما أول مكتبة للألبومات، أن أمنحهما أول ألبوماتهم...

أحببت فعلا أن أسمعها معهما، أن نلعب "محاكمة الألبوم"، نناقش الألحان المتنوعة ونقرر أفضلها...

أن أجعلهما يهتزان مع بيانو بينيدتى، جولد، آررو ومع كمان مينوهين، أويستراخ، مياشتين...

أن أتركهما يلمحان الجنة.

www.ibtesama.com

إنه الخريف. عبرت غابة كومبياجن بسيارتى البنتلى، توماس وماتيو بالخلف. للمناظر الطبيعية جمال دقيق عن الوصف. الغابة ممتلئة تغمرها الألوان، جميلة كلوحات واتو. لم أستطع حتى أن أقول لهما: "انظرا كم هذا جميل"، لا يشاهد توماس وماتيو المناظر الطبيعية، لا تفرق معهما. ليس بوسعنا أبدًا أن نعجب بشىء معًا.

لن يعرفا قط واتو، لن يذهبا مطلقًا إلى المتحف. السعادات الكبيرة تلك التى تساعد الإنسانية على العيش سيحرمان منها أيضًا.

سيتبقى لهما البطاطس المقلية.

يعشقان "الفريت"، خصوصًا توماس الذى يُسميها "فيت".

www.ibtesama.com

عندما أكون وحدى فى السيارة مع توماس وماتيو تمر برأسى بعض الأفكار الغريبة. أن أشترى زجاجتين، بإحداهما غاز وبالأخرى ويسكى، وأسكب الاثنتين.

أقول فى نفسي ربما سيكون أفضل لو أننى تعرضت لحادث سيارة خطير. خصوصًا بالنسبة لزوجتى. لقد أصبحت حياتى غير محتملة أكثر فأكثر وأصبح الطفلان اللذان يكبران أصعب أكثر فأكثر. عندئذ أغلق عينىّ وأزيد من السرعة مبقيًا عليهما مغلقتين لأطول مدة ممكنة.

www.ibtesama.com

لن أنسى أبدًا الطبيب الرائع الذى استقبلنا عندما حملت زوجتى للمرة الثالثة. عملية للإجهاض كانت مرتقبة. قال لنا: "بقسوة سأحدثكم. أنتما فى وضع مأسوى. لديكما بالفعل طفلان معوقان. وربما سيكون لديكم ثالث فهل سيغيرهذا كثيرًا من وضعكما الحالى؟ لكن تخيلا أن هذه المرة سترزقان بطفل طبيعى. سيتغير كل شىء. ستتجاوزان فشلكما وستكون فرصة حياتكما".

فرصتنا كانت تُدعى مارى، كانت طبيعية وغاية فى الجمال. كانت طبيعية فقد كانت لدينا مسودتان من قبل. الأطباء، الذين كانوا على علم بالحالتين السابقتين، متأكدون.

بعد الولادة بيومين، جاء طبيب أطفال لرؤية ابنتنا. فحص طويلاً قدمها، ثم ، قال بصوت مرتفع: "أظن أن قدمها معوجة..." وبعد لحظة قصيرة، أضاف: "لا، لقد أخطأت."

مؤكد إنه قد قال ذلك لأجل الضحك.

كبرت ابنتى، أصبحت فخرنا القومى. كانت جميلة وذكية.

www.ibtesama.com

أى ثأر جميل من المصير، حتى اليوم الذى...

لكن كفى مزاحًا، فهذه حكاية أخرى.

www.ibtesama.com

أم أطفالى التى حملتها فوق طاقتها ضاقت ذرعًا وغادرتنى. ذهبت لتضحك فى مكان آخر. كان ذلك جيدًا بالنسبة لى. أستحق ما حدث.

وجدت نفسي وحيدًا، ضائعًا.

رغبت بالفعل أن أجد ثانية شابة جميلة.

تخيلت أن يكون إعلان زواجى كالآتى :

"ناضج، ٤٠ عامًا، ٣ أطفال اثنان، منهما معوقان، يبحث عن امرأة شابة مثقفة، جميلة، تمتلك روح الدعابة."

وستستجيب الكثيرات خصوصًا من ذوات البشرة السوداء.

قابلت بعض اللطيفات الحمقاوات نوعًا. وكنت قد تجنبت الكلام عن أطفالى وإلا كن سيهربن.

أتذكر شقراء كانت تعرف أن عندى أطفالاً لكن لم تكن تعلم بحالتهم. ما أزال أتذكرها تقول لى: "متى سترينى أطفالك، يبدو أنك لا ترغب فى ذلك، هل تخجل منى؟"

فى المعهد العلاجى التربوى حيث وضع ماتيو وتوماس كان ثمة مرشدات شابات أميز من بينهن

www.ibtesama.com

واحدة قمحاوية غاية فى الحُسن. ستكون دون شك مثالية، كانت تعرف طفلىّ وطريقة التعامل معهما.

لم يجد الأمر فى النهاية. لابد أنها قالت فى نفسها: "المعوقون وظيفتى خلال الأسبوع، لكن أن تجدهم أيضًا يوم العطلة..." ربما أيضًا لم أرق لها وانها أسرت فى نفسها: "هو متخصص فى الأطفال المعوقين وقد يجعلنى ألد واحد منهم، لا شكرًا."

ثم، يومًا ما، كانت ذات مرة فتاة فاتنة، مثقفة وتمتلك روح الدعابة. أثرت أنا وطفلاى الصغيران اهتمامها. كنا محظوظين كثيرًا لأنها بقيت. بفضلها تعلم توماس أن يفتح ويغلق لفافة حلوى الـ"ايكلير". لم يستمر الأمر طويلاً ففى اليوم التالى لم يعد يعرف كان قد نسي كل شىء وكان لابد من معاودة التعلم من جديد.

مع طفلى لا نخشى أبدًا المعاودة، كانا ينسيان كل شىء. معهما، لا يوجد ضجر قط، ولا عادة، ولا قلق. لا شىء يصير قديمًا، كل شىء هو جديد.

www.ibtesama.com

يا عصفورای الصغيرين، ينتابنی حزن عميق عندما أتذكر أنكما لن تخبُرا أبدًا ما قد صنع لی أهم لحظات حياتی.

هذه اللحظات الرائعة حيث يُختزل العالم فی شخص، لا نوجد إلا من أجله ولأجله، نرتعش عندما نسمع وقع خطواته، حين نسمع صوته، وتخور قوانا عندما نراه. من نخشی كسره من فرط ضمه، من نضطرم حين نقبله، ويصبح العالم من حولنا مشوشًا.

لن تعرفا قط هذه الرعشة العذبة التی تجوب بكما من قدميكما حتی الرأس، وتُحدث لكما انقلابًا أشد من الرحيل، الصعق بالكهرباء، الإعدام. يُبدلكم، يفقدكم الصواب، ويجركم إلی زوبعة تُجننكم وتُثير القشعريرة. تهزكم بالكامل من الداخل، تلهب حلقكم، تجعلكم تحمرون، تزأرون، تنفش شعر بدنكم، تجعلكم تتلجلجون، تجعلكم تتفوهون بما لا معنی له، تُضحككم وتُبكيكم أيضًا.

لأنه، واحسرتاه، عصفورای الصغيران، لن تعرفا أبدًا أن تقرنا الضمير الشخصی المفرد والصيغة الخبرية المضارعة لفعل: يُحب.

www.ibtesama.com

عندما يطلبون منى فى الشارع حسنة للأطفال المعوقين أرفض.

لا أجرؤ على قول إن لدى طفلين معوقين، سيظنون أننى أمزح.

طلق المحيا ومبتسمًا أمنح نفسي الفخر بقول: "الأطفال المعوقون سبق أن أعطيتهم."

www.ibtesama.com

انتهيت من اختراع عصفور. أسميته انتيفول، هو عصفور نادر. مختلف عن العصافيرالأخرى. كان يدوخ. هذا ليس حسنًا لعصفور. لكنه متعقل، فبدلاً من التأثر بإعاقته كان يسخر منها.

فى كل مرة نطلب منه الطيران يجد دومًا سببًا طريفًا حتى لا يفعل ويُضحك الجميع. إضافة لذلك كان لديه سروال، وكان يسخر من العصافير التى تطير، العصافير الطبيعية.

مثل توماس وماتيو اللذين يسخران من الأطفال الطبيعيين، اللذين يتقاطعان معهم فى الشارع.

العالم اختل.

www.ibtesama.com

السماء تمطر، عادت جوزيه مبكرًا من نزهة مع الطفلين، تشرع فى إطعام ماتيو.

لا أرى توماس، خرجت من الشقة. وفى الطرقة عند حامل المعطف عُلق كساؤه الكامل الخاص برضيع، لا يزال منتفخًا، يحتفظ بشكل جسده. دخلت الشقة بهيئة متجهمة.

"جوزيه.. لماذا علقت توماس على حامل المعطف؟"

نظرت إلىَّ دون أن تفهم.

واصلت تمثليتى الهزلية "ليس لأنه طفل معوق نعلقه على حامل المعطف"

تماسكت جوزيه وأجابتنى: "تركته يجف لفترة فقد كان مبتلاً".

www.ibtesama.com

طفلاى ودودان جدًا. فى المحال يرغب توماس فى معانقة الجميع، الشباب، العجائز، الأغنياء، الفقراء، العمال، الأرستقراط، البيض، السود، دون تمييز.

يتضايق الناس نوعًا عندما يرون صبيًا يبلغ الثانية عشرة من عمره يقفز عليهم ليعانقهم. البعض يتراجع، وآخرون يدعنه يفعل وبعد ذلك يقولون وهم يمسحون وجههم بمنديلهم:" كم هو لطيف!"

إنهما لطيفان، هذه حقيقة. هم مثل الأبرياء أينما ولوا لا يرون الشر. هما قبل الخطيئة الأولى، من زمن كان العالم فيه بلا سوء، الطبيعة خيرة، كل الفطر يؤكل وحيث كان بالوسع مداعبة النمور دون خطر.

عندما يذهبان إلى حديقة الحيوانات كانا يريدان تقبيل النمور. عندما يشدان ذيل قط، بشكل غريب لا يخربشهما لابد وأنه قال فى نفسه:" هما معوقان لابد من التسامح فعقلهما ليس فى رأسهما."

هل يرد النمر بنفس الطريقة لو شد توماس وماتيو ذيله؟

سأجرب، لكننى سأنبه النمر أولاً.

www.ibtesama.com

ينطبع عندى حين أتجول مع ولدىَّ أننى أمسك بيدى دمى متحركة أو عرائس من الشيفون. كانا خفيفين، عظمهما صغير هش، لا يكبران، لا يسمنان، يبدوان فى السابعة فى حين يبلغان أربعة عشر عامًا، هما عفريتان صغيران. لا يتكلمان الفرنسية، يتحدثان بلغة العفاريت، أو أنهما يموءان، يزأران، يعويان، يزقزقان، يقوقآن، يعقعقان، يسقسقان، يصران،. لا أفهمهما دومًا.

ماذا يوجد فى رأس عفريتيى؟ لا شىء يذكر. فخارج القش لا يوجد ما هو ذى بال، مخ عصفورعلى أفضل تقدير، أو أشياء غير ذات قيمة من عينة جهاز استقبال مصنوع من كبريت الرصاص أو جهاز راديو بال. بعض الأسلاك الكهربائية لم تُلحم جيدًا، ترانزيستور، لمبة مهتزة تنطفئ دائمًا، وبعض الكلمات المُسجلة التى يعاد تكرارها.

ليس مدهشًا ألا يعملان بكفاءة بمخ كهذا. لن يمارسا أبدًا الهندسة، خسارة فقد كنت سأفخر كثيرًا أنا الذى كنت دومًا خائبًا فى الرياضيات.

مؤخرًا تأثرت جدًا. ماتيو كان مستغرقًا فى قراءة كتاب.

www.ibtesama.com

اقتربت وقد تملكنى الانفعال.

كان يمسك الكتاب بالمقلوب.

www.ibtesama.com

دومًا كنت معجبًا بـ هارا كيرى. رغبت للحظة أن أمنحهما عددًا منها. رغبت أن أستعير من أخى الطالب بكلية الهندسة رداءه الضخم بقبعته ذات القرنين حتى يلبسه ماتيو ونلتقط له صورة. فكرت فى الكلام المصاحب لهذه الصورة: "هذا العام الأول على كلية الهندسة كان ولدًا(*).

عذرًا ماتيو. أن تراودنى مثل تلك الأفكار المجنونة ليس خطئى. أنا لا أرغب فى السخرية منك، ربما أريد أن أسخر من ذاتى. أن أثبت أن باستطاعتى أن أستهزأ ببؤسي.

(*) فى العام الماضى ولأول مرة كان الأول على كلية الهندسة طالبة تدعى آن شوبينيه (هامش المؤلف).

www.ibtesama.com

تقوس ظهر ماتيو أكثر فأكثر. لم تُجد الدلاكات ولا مشد الظهر نفعًا. فى سن الخامسة عشرة كان له صورة مزارع عجوز قضى حياته فى عزق الأرض. حين كنا نأخذه فى نزهة لم يكن يرى إلا قدميه، لم يكن بوسعه حتى أن يرى السماء.

للحظة فكرت أن أثبت على طرفى حذاءيه مرايا صغيرة كمثل عاكسات تنقل له صورة السماء...

التواء عموده الفقرى ازداد وسيسبب قريبًا مصاعب فى التنفس. كان لابد من إجراء عملية فى عموده الفقرى.

وأجريت، أُعيد انتصابه بالكامل.

بعد ثلاثة أيام، مات فى الوضع المستقيم.

أخيرًا، نجحت العملية التى كانت ستمكنه من رؤية السماء.

www.ibtesama.com

ولدى الصغير لطيف، يضحك دومًا، لديه عينان صغيرتان سوداوان ولامعتان كالفئران.

دائمًا كنت أخشي فقدانه. كان طوله سنتيمترين. فى حين كان عمره عشر سنوات.

عندما ولد اندهشنا، وانتبنا القلق نوعًا. وعلى الفور طمئنا الطبيب، قال: "هو طبيعى تمامًا، اصبرا، هو تأخر بسيط لكنه سيكبر." صبرنا، نفد صبرنا، ولم نره يكبر.

بعد عشرة أعوام لم يتغير مكان الشجة التى صنعناها فى أسفل الجدار لتحديد طوله وهو عمره عام.

لم توافق أية مدرسة على قبوله بحجة انه ليس كالآخرين. كنا مجبرين على أن نبقيه فى المنزل. كان يلزم أن نوظف أحدًا بالبيت. كان صعبًا جدًا العثور على من يقبل ذلك. لانه يعنى الكثير من الهموم والمسئوليات، فقد كان صغيرًا جدًا ونخشى فقدانه.

خصوصًا وأنه مزاح، يعشق الاختباء ولا يجيب عندما نناديه. سيمضى وقته فى البحث عنه، كان يتعين تفريغ كل جيوب الملابس والبحث فى كل الأدراج،

www.ibtesama.com

وفتح كل الصناديق. فى المرة الأخيرة اختبأ فى علبة كبريت. دخوله الحمام كان شاقًا كنا نخشى دائمًا أن يغرق فى حوضه. أو أن يفر مع تفريغ المرحاض. وكان الأكثر صعوبة عندما نقص ظوافره.

لكى نعرف وزنه كان يتعين الذهاب إلى البوسطة ووضعه على ميزان الرسائل.

مؤخرًا هاجت عليه أسنانه. لم يقبل أى طبيب للأسنان أن يعالجه وتعين على اصطحابه إلى الساعاتى.

فى كل مرة يراه الآباء أو الأصدقاء يقولون: "كم كبُر" لم أصدقهم أعلم جيدًا أنهم يقولون ذلك ليرضونا.

فى أحد الأيام قال لنا طبيب أكثر شجاعة من الآخرين إنه لن يكبر أبدًا. كانت الضربة قاسية.

شيئًا فشيئًا اعتدنا الأمر وتوقفنا عند المميزات.

كان يمكن أن نحمله فوقنا، كان دومًا تحت أيدينا، لم يكن مُربكًا، نضعه بسهولة فى الجيب، لا يدفع فى المواصلات العامة، وفوق ذلك هو ودود، كان يعشق البحث عن قمل فى رءوسنا.

فى أحد الأيام ضاع منا.

www.ibtesama.com

أمضيت الليل فى رفع أوراق الشجر الميتة، واحدة تلو الأخرى.

كان الخريف.

كان حلماً.

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

لا ينبغى الاعتقاد أن الحزن على وفاة طفل معوق أقل. هو فى مثل نفس الحزن على وفاة طفل طبيعى.

مرعب هو موت مَنْ لم يكن أبدًا سعيدًا، من جاء إلى الأرض ليقوم بجولة سريعة فقط لأجل أن يعانى.

وعن ذلك، يصعب الاحتفاظ بذكرى ابتسامة.

www.ibtesama.com

يبدو أننا سنلتقى يومًا نحن الثلاثة.

هل سنتعارف فيما بيننا؟ كيف ستكونان؟ وأى رداء ستلبسان؟ لقد عرفتكما دومًا ترتديان العفريتة، ربما سترتديان رداء من ثلاث قطع، أو كيتونة بيضاء كالملائكة؟ ربما سيكون لديكما شارب أو لحية لتبدوا جادين؟

هل ستتعرفان على؟ أخاف أن أكون قد جئت وحالتى غاية فى السوء.

لن أتجاسر على سؤالكما هل مازلتما معوقين...هل يوجد معوقون فى السماء؟ ربما ستكونان قد أصبحتما مثل الآخرين؟

هل سنستطيع أخيرًا أن نتكلم رجلا لرجل، أن نقول ما هو أساسي، أشياء لم يكن بوسعى أن أقولها لكما على الأرض لأنكما لم تفهما الفرنسية وأنا لم أكن أتحدث لغة العفاريت؟

ربما سنتفاهم أخيرًا فى السماء. ثم بعد ذلك وبوجه أخص سنجد ثانية حدكما. هذا الذى لم يكن بمقدورى أبدًا أن أحدثكما عنه هو الذى لم تعرفاه قط. ستريان أنه شخصية مدهشة، سيعجبكما قطعًا وسيُضحكما.

www.ibtesama.com

سيصحبنا فى نزهات وسيسقيكما، هناك بالأعلى لابد أن نشرب نبيذ العسل.

سيسير بسيارته بسرعة، بسرعة شديدة، شديدة جدًا.

لن يكون ثمة ما نخشاه، فقد سبق ومتنا.

www.ibtesama.com

خشينا لحظة أن يعانى توماس من اختفاء شقيقه. فى البداية، بحث عنه، فتح الدواليب، الأدراج، ولكن لوقت قليل. انتصرت أنشطته المتنوعة، الرسومات، والعناية بسنوبى. توماس يعشق الرسم والتلوين. اتجاهه يميل إلى التجريد. لم يمر بالمرحلة الرمزية وقفز مباشرة إلى التجريد. ينتج كثيرًا وأبدًا لا يضيف لمسات أخيرة بعد ذلك. كان يصنع مجموعات يسميها دائمًا بالطريقة نفسها. يوجد رسومات "لبابا"، ورسومات "لماما"، ورسومات "لمارى أختى".

لا يتطور أسلوبه كثيرًا، يبقي قريبًا من بولوك(*). لوحة ألوانه حيوية. وأحجام اللوحات تبقى متماثلة. ومستحوذًا عليه لفرط حماسه يتجاوز فى الغالب ورقته، يواصل عمله على الطاولة رأسًا إلى الخشب.

عندما ينتهى من رسمة، يمنحها.

وحين نقول له إنها جميلة، كان يفرح.

(*) Pollock: بول جاكسون بولوك رسام أمريكى (١٩١٢م ـ ١٩٥٦م) (المترجم).

www.ibtesama.com

أتلقى أحيانًا بطاقات بريدية من مخيم للعطلات حيث ذهب الطفلان. غالبًا ما تكون شمسًا برتقالية تغيب فى البحر أو جبل مُتلألئ. وبالخلف، كان مكتوبًا: "أبى العزيز، أنا غاية فى السعادة، ألهو كما يحلو لى. أفكر فيك" بتوقيع توماس.

الكتابة جميلة، منتظمة، دون أخطاء فى الحروف، المُرشدة ثابرت. رغبت فى إسعادى. أتفهم نيتها الطيبة.

لم يسعدنى هذا.

أفضل الشخبطة التى لا شكل لها غير المقروءة التى يقوم بها توماس. فمع هذه الرسومات التجريدية ربما يقول لى ما هو أكثر.

www.ibtesama.com

فى أحد الأيام جاء معى بيير ديسبروج (*)لنأخذ توماس من مؤسسته. لم يرغب كثيرًا فى ذلك لكننى أصررت.

مثل كل القادمين الجدد، انقض عليه أطفال مترنحون ويسيل لعابهم وغالبًا ما يكونون غير مستساغين، ليقبلوه. وترك نفسه عن طيب خاطر، هو الذى يحتمل بصعوبة أقرانه ودائمًا ما كان يتحفظ باتجاه التظاهرات مفرطة الحيوية من قبل مقربيه.

هزته هذه الزيارة كثيرًا. كان يرغب أن يعود مرة ثانية. كان مبهورًا بهذا العالم الغريب؛ حيث يأتى اطفال لديهم عشرون عامًا يغمرون دبهم القطيفة بالقبلات ليأخذوك من يدك أو يهددوك بقطعك نصفين بمقصاتهم.

هو الذى يعشق العبث، كان قد وجد أساتذة فيه.

(*) Pierre Desprog: بيير ديسبروج كوميديان فكاهى فرنسى (١٩٣٩م - ١٩٨٨م) (المترجم).

www.ibtesama.com

عندما أفكر فى ماتيو وتوماس أرى عصفورين صغيرين شعثاوين. ليسا عقابين، ولا طاووسين، عصفوران متواضعان، كالدورى.

من معطفيهما اللذين بلون البحر تخرج عصى صغيرة من النغر. أتذكر أيضًا حين نغسلهما، جلدهم الشفاف البنفسجى، مثل طير صغير لم ينمُ ريشه بعد، عظم القص البارز، جذعهم الممتلئ بالضلوع. مخهم أيضًا كان خاصًا بعصفور.

لم ينقصهما إلا الريش.

خسارة.

كان بوسعهما الرحيل من عالم لم يُصنع لأجلهما.

كانا سيتم اصطيادهما سريعًا جدًا، بخفق الجناح.

www.ibtesama.com

حتى ذلك اليوم لم أكن قد تكلمت عن ولدىَّ. لماذا؟ أكنت خجلانًا؟ أخشى أن يشفقوا علىَّ؟

كل ذلك معًا. أظن أن ذلك كان لأجل الفرار من السؤال المرعب:

"ماذا يفعلان؟"

كان بوسعى الاختلاق...

"توماس فى الولايات المتحدة الأمريكية، فى معهد ماساشوستس للتكنولوجيا. يحضر دبلومًا فى مُسرعات الجزيء. هو سعيد، الأمور تسير جيدًا، والتقى شابة أمريكية تدعى ماريلين، هى جميلة كقلب، مؤكد أنه سيعيش هناك".

-أليس البُعاد قاسيًا جدًا عليك؟

- أمريكا ليست فى آخر العالم. ثم، وهوالمهم، هو سعيد. ونحن نتلقى دومًا أخباره، ويهاتف أمه كل أسبوع. بالمقابل، فإن ماتيو الذى يدرس لدى معمارى فى سيدنى لا يوافينا بأخباره..."

بوسعى أن أقول الحقيقة أيضًا.

"تريدون فعلا معرفة ما يفعلانه؟ ماتيو لا يصنع شيئًا، فهو لم يعد هنا. أنتم لا تعرفون، لا تعتذرون فرحيل طفل معوق فى الغالب لا يدرك.

www.ibtesama.com

نتكلم عن العزاء...

"ماتيو لا يزال موجودًا، يهيم فى طرقات مركزه العلاجى التربوي محتضنًا عروسة قديمة ممضوغة، يخاطب يديها وهو يصدر صرخات غريبة.

- مع ذلك هو كبير الآن، كم عمره؟

- لا، ليس كبيرًا: عجوزًا ربما لكن ليس كبيرًا. لن يكبر أبدًا. لا نكبر أبدًا عندما يكون لدينا قش فى الرأس."

www.ibtesama.com

عندما كنت صغيرًا كنت آتى بالغرائب لكى ألفت الانتباه. وعمرى ستة أعوام وفى يوم التسوق كنت أسرق سمكة رنجة من طاولة السماك، وكانت لعبتى الأساسية هى ملاحقة الفتيات من أجل دعك سيقانهن العارية بسمكتى.

فى المدرسة، ولكى أبدو رومانسيًا ولأشبه بايرون كنت أضع رباط عنق عريضًا بدلاً من رباط العنق التقليدى، ولكى أبدوا محاربًا للأيقونات وضعت تمثال القديسة العذراء فى المراحيض.

فى كل مرة أدخل متجرًا لأجرب ملبسًا ما، كان يكفى أن يقال لى: "هذا جيد جدًا، لقد بعنا منه العشرات بالأمس" حتى لا أشتريه. لا أريد أن أتشابه مع الآخرين.

فيما بعد، عندما بدأت العمل فى التليفزيون وعندما أُكلف بتصوير أفلام قصيرة، كنت أسعى دائما وأنا سعيد نوعًا، لإيجاد مكان غير معتاد لوضع الكاميرا.

أتذكر قصة تخص الرسام ادوارد بيجنون قمت بعمل فيلم تسجيلى عنها للتليفزيون. كان يرسم جذوعًا لشجر زيتون ومر طفل: وبعد أن شاهد اللوحة

www.ibtesama.com

قال له: هذا الذى تفعله "لا يشبه شيئًا " وبلطف قال له بيجنون: "لقد مدحتنى بأجمل ما يكون، لا يوجد ما هو أصعب من صنع شيء لا شبه له."

لا يشبه طفلاى أحدًا. لابد وأن أفرح، أنا الذى كنت دومًا أرغب أن أفعل ما لا يفعله الآخرون.

www.ibtesama.com

فى كل عصر، فى كل مدينة، فى كل مدرسة، كان يوجد وسيوجد، فى نهاية الفصل، غالبًا بالقرب من جهاز التدفئة تلميذ ينظر فى الفراغ.

فى كل مرة ينهض فيها ليهم بالإجابة عن سؤال، كنا نعلم أننا سنضحك. كان دائمًا يجيب بأى كلام، لأنه لم يفهم، ولن يفهم أبدًا. ويصر المدرس أحيانًا بسادية لأجل أن يسلى المجموعة ويهيئ الجو ويزيد من الإصغاء إليه. ولم يكن الطفل ذو النظرة الفارغة الواقف وسط التلاميذ المهتاجين يرغب فى إثارة الضحك، لم يتعمد ذلك، على العكس. كان يرغب كثيرًا ألا يُثير الضحك، كان يجتهد، لكن رغم جهوده كان ينطق بالحماقات، لأنه لم يكن مستوعبًا.

حين كنت صبيًا كنت أول من يضحك عليه، الآن أشفق كثيرًا على هذا التلميذ ذى النظرة الفارغة. كنت أفكر فى طفلىَّ.

لحسن الحظ، ليس بمقدورنا أن نسخر منهما فى المدرسة. لن يذهبا أبدًا إلى المدرسة.

www.ibtesama.com

لا أحب كلمة معوق. هى كلمة إنجليزية، تعنى "اليد فى القبعة".

لا أحب أيضًا كلمة "غير طبيعى"، خصوصًا لو لُصقت بطفل.

ما الذى يعنيه طبيعى؟ كما ينبغى، كما ينبغى أن نكون عليه، أى فى الوسط بمعدل الحد الوسط. لا أحب كثيرًا ما يكون وسطًا، أفضل من لا يكونون فى الوسط، من يفوقونه، ولماذا لا مَنْ يقلون عنه، على كل الأحوال من يكونون مختلفين عن الجميع. أفضل تعبير: "ليس كالآخرين". لأننى لا أحب دومًا الآخرين.

ألا تكون مثل الآخرين لا يعنى بالضرورة أن تكون أقل من الآخرين، هو يعنى أن تكون مختلفًا عن الآخرين.

ماذا يعنى عصفور ليس كالآخرين؟ يتساوى العصفور الذى يدوخ مع عصفور بوسعه أن يصفر دون نوتة كل سوناتات الفلوت لموتسارت.

بقرة ليست كالبقر الآخر، ربما تكون بقرة تستخدم التليفون.

www.ibtesama.com

حين أتكلم عن طفلي أقول إنهما "ليسا كالآخرين". فإن هذا يثير الشك.

آينشتين، موتسارت، مايكل أنجلو لم يكونوا مثل الآخرين.

www.ibtesama.com

لو كنتما مثل الآخرين، كنت سأصطحبكما إلى المتحف. كنا سنشاهد معًا لوحات رامبرانت، مونيه، تيرنر ثم رامبرانت ثانية.

لو كنتما مثل الآخرين، كنت سأهديكما إسطوانات الموسيقى الكلاسيكية، كنا سنستمع معًا إلى موتسارت أولاً، ثم بيتهوفن، ثم باخ ثم موتسارت ثانية.

لو كنتما مثل الآخرين كنت سأمنحكما كتبًا كثيرة لبريفير، مارسيل إيميه، كوينو، أيونسكو ثم لبريفير ثانية.

لو كنتما مثل الآخرين، كنت سأخذكما إلى السينما، كنا سنشاهد معًا الأفلام القديمة لشابلن، ايزنشتين، هتشكوك، بنيول، وشابلن ثانية.

لو كنتما مثل الآخرين، كنت سأخذكما إلى المطاعم الكبيرة، كنت سأسقيكما شومبول ميوسيجنى وشومبول ميوسيجنى ثانية.

لو كنتما مثل الآخرين، كنا سنلعب معًا تنس، سلة وكرة طائرة.

لو كنتما مثل الآخرين، كنا سنصعد معًا فى برج أجراس الكاتدرائية القوطية وننظر من فوق كعصفور.

www.ibtesama.com

لو كنتما مثل الآخرين، كنت سأهديكما ملابس على أحدث صيحة لتكون الأكثر جمالاً.

لو كنتما مثل الآخرين، كنت سأوصلكما إلى المرقص بصحبة خطيبتيكما فى سيارتى القديمة المكشوفة.

لو كنتما مثل الآخرين، كنت سأعطيكما بلطف قماشًا مجزعًا حتى تقدماه هدية لخطيبتيكما.

لو كنتما مثل الآخرين، كنا سنقيم حفلا كبيرًا لزواجكما.

لو كنتما مثل الآخرين ، كنت سأُرزق بأحفاد.

لو كنتما مثل الآخرين، ربما قل خوفى من المستقبل.

لكن لو كنتما مثل الآخرين، كنتما ستكونان مثل الجميع.

ربما لم تكن لتستفيدا شيئًا من المدرسة.

كنتما ستصبحان لصين.

كنتما ستنزعان خافت الصوت من السكوتر لتحدثان مزيدًا من الضجيج.

تكونان عاطلين.

تحبان جون ميشيل جار(*).

(*) Jean Michel Jarre موسيقى فرنسى معاصر يعزف الموسيقى الإلكترونية (المترجم).

www.ibtesama.com

كنتما ستتزوجان بلهاء.

تطلقان.

وربما رزقتما أطفالاً معوقين.

لقد تخلصنا من خطر مداهم.

www.ibtesama.com

خصيت قطى دون تنبيهها، دون أن نطلب منه الإذن. دون أن نشرح له المزايا والعيوب. قلت له ببساطة إننا سننتزع لوزتيه. من حينها عندى انطباع أنه يتجهم فى وجهى. لم أتجاسر على النظر فى عينيه. كان ضميرى يبكتنى.

أفكر فى زمن يريدون فيه أن يخصوا الأطفال المعوقين. أن يُطمئن المجتمع الصالح نفسه بأن أطفالى لن ينجبوا. لن يكون عندى أحفاد، لن أذهب للتنزه مع يد صغيرة تتحرك باستمرار فى يدى العجوز، لن يسألنى أحد أين تذهب الشمس عندما تغيب، لن ينادينى أحد بجدى إلا الشباب من الأغبياء بسيارتهم خلفى لأننى لا أسير بسرعة كافية. ستتوقف الذرية، سنبقى عند هذا الحد. وهذا أفضل.

لابد أن ينجب الآباء أطفالاً طبيعيين فقط، سيحصلون جميعاً وبالتساوى على الجائزة الأولى فى مسابقة أجمل بيبي وفيما بعد على الجائزة الاولى فى المسابقة العامة.

الطفل غير الطبيعى يُمتنع.

لا داع لأن نقلق لأن المشكلة لا تُطرح بالنسبة لعصافيرى الصغيرة. لن يصنعا الكثير من المخلفات بشرشورهم الدقيق جداً كمثل محار صغير.

www.ibtesama.com

اشتريت سيارة كامارو أمريكية بسعر مُخفض. لونها أخضر غامق والداخل شبه أبيض، نوعًا كأنك رأيتنى.

ذهبنا إلى البرتغال فى إجازة.

صحبنا توماس معنا، سيذهب لرؤية البحر. ذهبنا لنأخذه من الـ"سورس"، معهده العلاجى التربوى كان قريبًا من "التورز".

الكامرو تنساب على الطريق بهدوء.

بعد قضاء ليلة فى إسبانيا وصلنا إلى "سيرج" مقصد الرحلة. الفندق أبيض، السماء زرقاء والبحر يغمره النور، إنها إفريقيا تقريبًا.

أى سعادة ان نكون قد وصلنا أخيرًا. أنزلنا توماس، كان سعيدًا، نظر إلى الفندق وهتف: "لا سورس، لا سورس!" وهو يخبط بيديه. ظن أننا عدنا إلى معهده العلاجى التربوى. ربما بهرته الشمس أو كان ذلك هزلاً قاله ليُضحكنا.

كان الفندق مبهرجًا نوعًا، يرتدى العاملون زيًا لونه أحمر ضارب إلى البنفسجى بأزرار مذهبة. يحمل كل الخدم شارة عليها اسمهم، خادمنا كان يدعى فيكتور هوجو. أراد توماس أن يعانق الجميع.

www.ibtesama.com

كان توماس يعامل كأمير. ما لم يكن يحبه هو أن كبير العاملين قبل تقديم الخدمة يسحب أطباق العرض الموجودة على المائدة. كان يغضب، يتشبث بطبقه لا يريد لأحد أن يأخذه منه، يصرخ: "لا، سيدى! ليس الطبق! ليس الطبق!" لابد أنه اعتقد أنه لن يأكل لو أخذنا منه الطبق.

توماس يخاف المحيط، ضجيج أمواجه الضخمة. حاولت أن أعوده. أمشى فى الماء وأنا أحمله بين ذراعى، كان يتشبث بى مرهوبًا. لن أنسي أبدًا تعبيره المرعوب. وفى يوم، وجد حيلة لكى يتوقف عن توسله ونخرج من الماء، كان يتخذ هيئة مأسوية وبكل قوة، وحتى نسمعه رغم صخب الأمواج، كان يصرخ: "كاكا!". وأخرجته من الماء معتقدًا أن الحالة مستعجلة.

وسريعًا ما فهمت أن ذلك لم يكن حقيقيًا. وتأثرت بشدة. توماس ليس غبيًا، رغم كل شىء ثمة بعض من وميض فى مخه الصغير الخاص بعصفور.

كان بوسعه الكذب.

www.ibtesama.com

لن يمتلك ماتيو وتوماس فى حافظتيهما أبدًا البطاقة الزرقاء ولا بطاقة الجراج. أبدًا لن يكون لديهما محفظة، بطاقتهما الوحيدة ستكون بطاقة عدم الأهلية.

لونها برتقالى لتثير البهجة. تحمل تنويه: "الحالة: يقف بصعوبة" مكتوبة بالحروف الخضراء. تم منحها من قبل مفوض الجمهورية بباريس.

بلغت نسبة إعاقتهما ٨٠٪.

مفوض الجمهورية الذى لم ينخدع أبدًا بتطورهما منحها إياهما باعتبارها "نهائية".

على البطاقة كانت توجد صورتاهما. رأسهما الغريبة، نظرتهما المشوشة..فى أى شىء يفكران.

إنها تفيدنى إلى اليوم. أضعها أحيانًا على الزجاج الأمامى عندما أركن السيارة بشكل سيئ. بفضلهما، نجوت من مخالفة.

www.ibtesama.com

لن يكون لطفْلى سيرة ذاتية أبدًا. ماذا سيفعلون بها؟ لا شيء. وهذا مفهوم لأننا لن نطلب منهما شيئًا أبدًا.

ما بوسعنا أن نكتب فى سيرتهما الذاتية؟ طفولة غير طبيعية ثم إقامة دائمة فى المعهد العلاجى التربوى، أولاً فى لا سورس ثم فى لو سيدر(*)، يالها من أسماء جميلة.

لن يكون لطفلىّ أبدًا سجل للسوابق. هم من الأبرياء. لم يفعلا أى شر، لا يعرفان.

أحيانًا فى الشتاء عندما أشاهدهما بقناعيهما أتخيلهما يصوبان السلاح فى بنك.

لن يكونا خطيرين بحركتيهما المتعثرة وبأيديهما المرتعشة.

يمكن للشرطة الإيقاع بهما بيسر، لن يهربا، لايستطيعان الركض.

لم أفهم أبدًا لماذا يُعاقبان بمثل هذه القسوة. هذا منتهى الظلم فهما لم يقترفا شيئًا.

إن هذا لشبيه بخطأ قضائى مهول.

(*) La Source تعنى النبع و Le Cedre تعنى شجر الأرز (المترجم).

www.ibtesama.com

فى عرض مسرحى لا يُنسى ثأر بيير ديسبروج من الأطفال صغار السن هؤلاء والفظائع التى منحوها إياه بمناسبة عيد الأمهات وعيد الآباء.

أنا، لم يكن لدى ما يمكننى من الثأر. أنا لم أتلق شيئًا أبدًا. لا هدايا، لا إطراء، لا شيء.

مع ذلك فى هذا اليوم، كنت سأبذل غاليًا لأجل علبة زبادى سيحولها ماتيو لمفرغة جيوب. كان سيكسيها باللبد المصقول ويلصق فوقها نجومًا كان سيقطعها بنفسه من ورق مذهب.

فى هذا اليوم، كنت سأبذل غاليًا لأجل أن أحظى بإطراء كتبه توماس بشكل سيئ حيث نجح أن يخط بكثير من الصعوبة: "أحبك كثيرًا(*)."

فى هذا اليوم، كنت سأبذل غاليًا لأجل منفضة سجائر غريبة الشكل كقلقاسة والتى كان ماتيو سيصنعها من الصلصال وحيث حفر فوقها كلمة "بابا".

ولأنهما ليسا كالآخرين كانا سيمنحاننى هدايا مختلفة عن الهدايا الأخرى. فى هذا اليوم، كنت

(*) استخدم الراوى هنا كلمة كثيرًا بالفرنسية مكتوبة كما تنطق Bocou بدلا من Beaucoup ليدلل على عدم قدرة طفله المعوق على الكتابة الصحيحة (المترجم).

www.ibtesama.com

سأبذل غاليًا لأجل حجر، ورقة شجر جافة، ذبابة خضراء، أبو فروة، دعسوقة...

ولأنهم ليسا كالآخرين كانا سيصنعان لى رسومًا مختلفة عن الرسومات الأخرى. فى هذا اليوم كنت سأبذل غاليًا لأجل حيوانات ملوية كالجمال، التى تثير الضحك على طريقة لا ديبوفييه أو خيولاً على طريقة بيكاسو.

لم يصنعا شيئًا.

ليس عن سوء طوية، ليس لأنهما لم يرغبا، أتصور أنهما كانا يريدان ذلك بالفعل لكنهما لم يستطيعا. بسبب يدهما المرتعشة، عينهما التى لا ترى بوضوح وبسبب القش الذى فى رأسيهما.

www.ibtesama.com

بابا الغالى

بمناسبة عيد الآباء أردنا ان نكتب لك خطابًا. ها هو.

لا نهنئك على ما فعلته: انظر لنا. أكان صعبًا جدًا ان تنجب أطفالا مثل الجميع؟ عندما نعلم عدد الأطفال الطبيعيين الذين يولدون كل يوم وعندما نرى رأس بعض الأباء نقول فى أنفسنا إن الأمر ليس صعبًا.

لا نطلب منك أن تصنع عباقرة صغارًا لكن فقط طبيعيين. مرة أخرى، لم ترد

أن تفعل ما يفعله الآخرون، ربحت وخسرنا. أتظن أنه لأمر لطيف أن تكون معوقًا. لدينا بعض المميزات. أفلتنا من المدرسة، لا واجبات، لا دروس، لا امتحانات، لا عقوبات. بالمقابل، لا مكافآت، وفاتتنا أشياء كثيرة.

ماتيو ربما كان سيحب أن يلعب كرة القدم. تراه فى الملعب، هش جدًا وسط جماعة من الأوزان الضخمة؟ لم يكن ليخرج حيًا.

وأنا، ربما كنت سأحب أن أكون باحثًا فى علم الأحياء. وهذا مستحيل مع القش الذى فى رأسى.

www.ibtesama.com

تعتقد أنه لأمر لطيف أن تمضى حياتك مع معوقين. سيكون فيها حالات صعبة ،من يصرخون طوال الوقت ويمنعوننا من النوم، وشرسون يعضون.

ولأننا لسنا حقودين ونحبك بالفعل رغم كل شيء نتمنى لك عيد آباء سعيدًا.

ستجد على الخطاب من الخلف رسما قمت به لأجلك. أما ماتيو، الذى لا يرسم، فيُعانقك.

www.ibtesama.com

الطفل الذى ليس كالآخرين ليس له خصوصية قومية فهو يوجد فى أكثر من نسخة.

وكان ثمة طفل من كمبوديا فى المعهد العلاجى التربوى؛ حيث وضع توماس وماتيو. لا يتحدث والداه الفرنسية جيدًا، كانت المقابلات مع الطبيب رئيس المؤسسة صعبة وأحيانًا تُثير الغيظ. كانا دومًا يعارضان بشدة تشخيص الطبيب.

ابنهما ليس منغوليًا لكنه كمبوديًا.

www.ibtesama.com

لا ينبغى الحديث عن كلمة وراثة فهى نذير شؤم.

لست أنا الذى يشغل باله بالوراثة، الوراثة هى التى تشغل بالها بى.

انظر إلى غلامى الصغيرين الأحدبين وأتمنى ألا يكون خطئى أنهما ليسا مثل الآخرين.

لو أنهما لا يتكلمان، لو أنهما لا يجيدان الكتابة، لو أنهما لا يستطيعان العد حتى ١٠٠ لو أنهما لا يعرفان السير بالعجلة، لو أنهما لا يعرفان السباحة، لو أنهما لا يجيدان العزف على البيانو، لو أنهما لا يربطان أحذيتهما، لو أنهما لا يأكلان المحار الصغير، لو أنهما لايعرفان استخدام الكمبيوتر، فإن هذا رغم كل شيء لم يكن للأننى لم أحسن تربيتهما، لم يكن بسبب بيئتهما.

انظروا لهما، لو أنهما يعرجان، لو أنهما مقوسان، فإن هذا ليس مسئوليتى، هو بسبب عدم توفر الحظ.

"وراثة"، ربما كانت الكلمة العلمية التى تفيد قول: عدم توفر الحظ؟

www.ibtesama.com

حكت ابنتى مارى لزميلاتها فى المدرسة أن لديها شقيقين معوقين. لم يردن تصديقها. قلن لها إن هذا ليس حقيقياً، وأنها تدعى.

www.ibtesama.com

نسمع بعض الأمهات أمام مهد طفلهن يقلن: "لا نريد أن يكبر، نرغب أن يظل هكذا." أمهات الأطفال المعوقين أوفر حظًا فهن يلعبن بالعروسة وقتًا أطول.

لكن يومًا ستزن العروسة ثلاثين كيلو جرامًا ولن تكون دومًا وديعة.

الآباء يهتمون بأطفالهم عندما يكبرون، حين يصبحون فضوليين، عندما يشرعون فى طرح الأسئلة.

انتظرت حقًا هذه اللحظة. لم يكن ثمة إلا سؤال واحد: "أين نذهب يا بابا".

الهدية الأكثر جمالاً التى يمكن أن نمنحها لطفل هى الرد على فضوله، أن نهبه مذاق الأشياء الجميلة. مع ماتيو وتوماس لم أحظ بتلك الفرصة.

كم وددت أن أكون مُدرسًا يعلم الأطفال أمورًا دون أن يُضجرهم.

ألفت قصصًا مصورة للأطفال لم يشاهدها طفلاى، كتبًا لم يقرءاها.

كم وددت أن يفخرا بى. أن يقولا لزملائهما: "أبونا أفضل من أبيكم."

www.ibtesama.com

لو أن الأطفال بحاجة لأن يفخروا بأبيهم، فربما الآباء ولكى يُطمئنوا أنفسهم بحاجة لإعجاب أطفالهم.

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

فى الفترة التى كانت صور البث جيدة بين برامج التليفزيون، كان بوسع ماتيو وتوماس أن يبقيا أمام الشاشة لمشاهدتها. توماس يحب جدًا التليفزيون خصوصًا منذ اليوم الذى شاهدنى فيه فى الجهاز. هو الذى لا يرى جيدًا نجح على شاشة صغيرة فى تمييزى من وسط أشخاص آخرين. عرفنى، وصرخ: "بابا!".

بعد البرنامج لم يرد الذهاب لتناول العشاء، أراد أن يبقى أمام الجهاز، وصرخ: "بابا، بابا!". ظن أننى سأعود ثانية.

ربما أخطأت فى كونى لا أمثل له الكثير، وأن بوسعه أن يحيا حياة جيدة جدًا بدونى. أثر هذا فىَّ وفى الوقت نفسه أشعرنى بالذنب. لم أحسن تقدير الحياة معه، الذهاب كل يوم إلى كارفور لمشاهدة عرائس السنوبى.

توماس سيبلغ قريبًا الرابعة عشرة. فى عمره هذا كنت قد اجتزت شهادة الدبلوم الوطنى (*).

(*) شهادة اجتياز المرحلة المدرسية فى فرنسا وقد أوردها المؤلف باسمها المختصر: BEPC (المترجم).

www.ibtesama.com

أنظر إلى توماس. أجد صعوبة فى التعرف على نفسي فيه، ليس ثمة شبه بيننا. ربما كان ذلك أفضل، ولن أقول لمن فينا. لماذا أتمسك برغبة أن يُعاد إنتاجى؟ الزهو؟ أكنت معتزًا بنفسى جدًا برغبتى أن أخلف على الأرض ذوات صغيرة لى؟

لم أرد أن أموت بالكامل، أكنت أرغب فى ترك آثار، حتى يمكن عبر الأثر اقتفاء أثري؟

أحيانًا ينتابنى إحساس أننى تركت آثارًا ولكن كمثل تلك التى نتركها بعد السير بأحذية ممتلئة بالطين على أرضية مدهونة وندع أنفسنا لتبادل السباب.

عندما أنظر إلى توماس، حين أفكر فى ماتيو، أتساءل ما إذا كنت قد أحسنت صنعًا بإنجابهما.

لابد وأن نسألهما.

أتمنى رغم كل شيء، أن توضع جنبًا إلى جنب كل سعادتهما الصغيرة، عرائس السنوبى، حمام فاتر، مداعبة لقط، شعاع شمس، بالون، نزهة فى كارفور، ضحكات الآخرين، السيارات الصغيرة، أصابع البطاطس المقلية،...فقد كان ذلك كفيلا بجعل الحياة محتملة.

www.ibtesama.com

أتذكر حمامة. كانت فى ورشة المعهد العلاجى التربوى حيث كان الأطفال يُنفذون أعمالاً يدوية، أى أن بعضهم كان يُلطخ بالألوان على الورق. والبعض الآخر كان خائر القوى أو كان يضحك بلا سبب.

عندما طارت الحمامة فى الغرفة، صفق بعض الأطفال المندهشين بأيديهم. تترك أحيانًا ريشة صغيرة تقع وهى تتعرج فيتبعها طفل بنظره. ساد فى الورشة نوع من السلام ربما بسبب الحمامة. ويصادف أن تحط على طاولة أو بشكل أفضل على كتف طفل. نتذكر لوحة بيكاسو الطفل مع الحمامة. والبعض الآخر كان يخاف ويصرخ من الرعب، لكن الحمامة كانت وديعة. تبعها توماس مناديًا إياها "فرخة صغيرة"(١)، ربما كان يريد الإمساك بها لينزع ريشها؟

نادرًا ما يتناغم عالما الحيوانات والبشر. ثمة توافق بين أمخاخ العصافير. القديس فرنسيس الآسيز(٢) كان حاضرًا، وكذلك جيوتو (٣) بلوحاته العامرة بالعصافير.

أيادى الأبرياء غنية. بالرسم.

---

(١) فى الأصل tite poule وكما يتضح أن التعبير مكتوب بشكل خاطئ حسب نطق الطفل والصواب «Petite Poule» (المترجم).

(٢) Saint Francois d' Assise القديس الإيطالى فرنسوا لاسيز: (١١٨٢م ـ ١٢٢٩م (المترجم)،

(٣) Giotto Di Bondone: جيوتو دى بوندونى نحّات ورسام إيطالى (١٢٦٧م ـ ١٣٦٧م) (المترجم).

www.ibtesama.com

توماس يبلغ ثمانية عشر عامًا، لقد كبر، كان يجد مشقة فى الوقوف، لم يعد المشد كافيًا، كان بحاجة لوصى. وقد اخترت لذلك.

لابد للوصى أن يكون راسخًا فى الأرض، صلبًا، مستقرًا، قادرًا على مواجهة الريح، لابد أن يقف منتصبًا وسط العاصفة.

إن أُختير لذلك لهى فكرة عجيبة.

الآن أنا الذى يدير ماله، يتعين أن أوقع على الشيكات. توماس لا يكترث بالنقود، لا يعرف جيدًا معناها. أتذكر يومًا كنا فى مطعم بالبرتغال أخرج من حافظتى كل النقود ووزعها على الجميع. واثق أننى لو سألت توماس عن رأيه لو كان بوسعه أن يطلعنى عليه، كان سيقول: "هيا يا بابا، لننتهز الفرصة، لنتسلَ، سنهدر معًا مخصصاتى المتعلقة بعدم الأهلية".

لم يكن بخيلاً. بماله سنشترى سيارة جميلة مكشوفة الغطاء. سنذهب كصديقين قديمين ثملين لنحتفل. وكما فى الأفلام، سنهبط على الساحل ونذهب إلى الفنادق الجميلة الممتلئة بالنجف، نتناول العشاء فى المطاعم الكبيرة، نشرب شمبانيا، نحكى

www.ibtesama.com

قصصًا كثيرة، نتحدث عن السيارات، الكتب، الموسيقى، السينما، وعن البنات...

وفى المساء نتنزه على الشاطئ على البلاجات الكبيرة الخالية. ننظر إلى الأسماك الفسفورية وهى تترك أذيالاً مضيئة فى المياه المعتمة. نتفلسف فى الحياة، فى الموت، فى الله. ننظر إلى النجوم وإلى أنوار الساحل المهتزة. ولأنه لن تكون لنا الآراء نفسها عن كل شيء نتبادل الشتائم. يصفنى بغبى عجوز وأنا سأقول له: "قليل من الاحترام، من فضلك، أنا أبوك"، ويرد علىَّ: " لا داع لأن تفخر بذلك".

www.ibtesama.com

من حق الطفل المعوق أن ينتخب.

توماس بالغ، بوسعه الانتخاب. كلى ثقة أنه فكر جيدًا، وازن الـ"مع" والـ"ضد"، حلل بدقة شديدة برنامج كل من المرشحين، كفاءة نظامهما الاقتصادى، وأحصى أعوان كل حزب.

لا يزال مترددًا، غير قادر على الاختيار.

الكلب سنوبى أم القط مينو؟

www.ibtesama.com

قال فجأة بعد صمت: "وكيف حال أطفالك؟"

حتى لم يكن عليه أن يعرف أن ثمة طفلا واحدًا فالآخر لم يعد هنا منذ سنوات عديدة.

دون شك فتُر الحديث، وخشى أن تمر من جديد فترة سكون مملة وطويلة. انتهى الغداء، تحدث الجميع عن آخر أخباره وكان لابد من تنشيط الجو. وأضاف رب البيت بهيئة من سيقص عليك أخبارًا طيبة: "هل تعلمون أن جون لوى لديه طفلان معوقان؟"

المعلومة تبعها صمت كبير، ثم ضوضاء عجيبة صنعتها الشفقة، الدهشة والفضول جاءت من أولئك الذين لا علم لهم بها. وشرعت امرأة فاتنة فى النظر إلىَّ بابتسامة حزينة وفاترة كالتى نراها عند نساء الرسام جروز.

نعم، آخر أخبارى عن أطفالى المعوقين لكننى لا أرغب دومًا فى الحديث عنها.

ما كان ينتظره رب البيت منى هو أن أضحكهم. اختبار محفوف بالمخاطر لكننى بذلت ما فى وسعى.

حكيت لهم آخر عيد لرأس السنة فى المعهد العلاجى التربوى حيث وضع طفلىّ. شجر التنوب الذى

www.ibtesama.com

أوقعاه، الكورال حيث يغنى كل واحد أغنية مختلفة، شجر التنوب الذى احترق بعد ذلك، جهاز السينما الذى سقط أثناء العرض، جاتوه الكريمة الذى قلباه والآباء وهم على أربع تحت الطاولات ليتجنبوا الكرات الحديدية التى أهداها أحد الآباء المتهورين لابنه الذى أخذ فى قذفها فى الهواء وكل ذلك على خلفية أغنية "لقد ولد الطفل الربانى"..

فى البداية كانوا متضايقين نوعًا لم يتجاسروا على الضحك. ثم، شيئًا فشيئًا تجاسروا. نجحت جدًا. رب البيت كان سعيدًا.

أظن أنهم سيدعوننى مرة أخرى.

www.ibtesama.com

توماس يُكلم يده، يدعوها مارتين. كان له مع مارتين أحاديث طويلة، لابد وأنها تجيبه لكنه كان الوحيد الذى يسمعها.

بصوت خفيض يقول لها أشياء لطيفة. وأحيانا تعلو النبرة بينهما، لم يكن سعيدًا على الإطلاق، لابد أن مارتين قالت له أمرًا لم يعجبه، عندئذ صوته يكون غليظًا ويسبها.

ربما عاب عليها أنها لا تصنع الكثير؟

لابد من العلم بأن مارتين لم تكن ماهرة بما يكفى وأنها لا تساعده كثيرًا فى الحياة اليومية كى يرتدى ملابسه، ليأكل. لم تكن مضبوطة، تسكب حين يشرب، تتردد، لا تعرف أن تُزرر قميصه، لا تعرف أن تربط حذاءه، غالبًا ما ترتعش...

لا تعرف حتى أن تداعب القط كما ينبغى، تداعب بالضربات والقط يفر خائفًا.

لا تعرف العزف على البيانو، لا تجيد قيادة السيارة، لا تعرف حتى الكتابة، هى صالحة فقط للقيام برسومات تجريدية. ربما أجابته مارتين حينها بأنها ليست مسئولة وأنها تنتظر الأوامر.

www.ibtesama.com

ليست هى من عليه أن يُبادر، إنما عليه هو.

هى مجرد يد.

www.ibtesama.com

"آلو، صباح الخير توماس، أنا بابا."

صمت كبير.

أسمع تنفسًا صعبًا قويًا جدًا، ثم صوت المُعلمة:

"توماس هل تسمع؟ إنه بابا.

صباح الخير توماس، هل تعرفنى؟ أنا بابا، هل أنت بخير يا توماس؟"

صمت. فقط التنفس الشاق...أخيرًا شرع توماس فى الكلام. كان له صوت غليظ منذ بلوغه.

"أين نذهب يا بابا؟"

عرفنى. يمكننا مواصلة الحديث.

"توماس كيف حالك؟

أين نذهب يا بابا؟

هل صنعت رسومًا جميلة لبابا، لماما، ولأختك مارى؟"

صمت. فقط التنفس الصعب.

"هل نذهب إلى البيت؟

هل صنعت رسومًا جميلة؟

www.ibtesama.com

مارتين.

هل مارتين بخير؟

فيت فيت فيت!(*)

أكلت فريت هل كانت لذيذة؟... هل تريد أن تأكل فريت؟"

صمت...

"هل تعطى لبابا قُبلة؟ هل تقول لبابا مع السلامة؟ هل تمنح قُبلة؟"

صمت.

أسمَع السماعة التى تهتز فى الفراغ وأصواتًا من بعيد. ومن جديد المُعلمة على الهاتف وأخبرتنى أن توماس ترك السماعة وذهب.

وضعت السماعة.

لقد قلنا المهم.

(*) المقصود هنا أصابع البطاطس المقلية التي ينطقها توماس «فيت» بدلا من فريت frites(المترجم).

www.ibtesama.com

توماس ليس بخير. كان عصبيًا رغم المهدئات. كانت تنتابه أحيانًا أزمات حيث كان عنيفًا جدًا. كان يتعين فى بعض المرات إدخاله المستشفى النفسي...

سنذهب لرؤيته الأسبوع المقبل لتناول الغداء معه. ولأن رأس السنة كانت على الأبواب اقترحت على المربية أن أحضر له هدية، لكن أى هدية؟

قالت لى إنه يسمع الموسيقى طوال النهار. كل أنواع الموسيقي حتى الكلاسيكية. أحد النزلاء وكان والداه موسيقيين يسمع موتسارت وبيرليوز. تذكرت "تنويعات جولدبرج" [1] ، لحن كتبه ج.س. باخ لكى يهدئ كومت كيسيرلنج[2] وكان سيدًا عصبيًا جدًا. فى المعهد العلاجى التربوى كان ثمة كثير على غرار كومت كيسيرلنج الذين كانوا فى حاجة للتهدئة، كان ج.س. باخ سيحسن حالتهم.

جئت لهم بالأسطوانة. المربية ستخوض التجربة.

لو أن باخ كان بوسعه يومًا أن يحل محل بروزاك[3]...

(١) مقطوعة موسيقية تمثل أهم أعمال الموسيقار الألمانى باخ وألفها نهاية عام ١٧٤٠م (المترجم).

(٢) Comte Keyserling كاتب ألمانى (١٨٥٥م - ١٩١٨م) (المترجم).

(٣) بروزاك دواء معروف فى معالجة الاكتئاب (المترجم).

www.ibtesama.com

بعد ثلاثين عامًا، وجدت فى قاع أحد الأدراج دعوات الميلاد الخاصة بتوماس وماتيو. كانت دعوات ميلاد كلاسيكية، كنا نحب البساطة، لا ورود ولا طير اللقلق.

الورقة أصفرت لكن بوسعنا أن نقرأها جيدًا، مكتوب بالإنجليزية أنه يسعدنا أن نعلن لكم ميلاد ماتيو ثم توماس.

مؤكد أن هذا أمر سعيد، لحظة نادرة، تجربة فريدة، مشاعر عميقة، غبطة دقيقة عن الوصف...

وكان الإحباط على مستوى الحدث.

يُحزننا أن نعلمكم أن ماتيو وتوماس معوقان، لديهما قش فى الرأس، أنهما لن يدرسا أبدًا، إنهما سيفعلان الحماقات طوال حياتهما، إن ماتيو سيكون غاية فى البؤس وأنه سريعًا ما يُغادرنا. وسيبقى توماس الهش مدة أطول، دومًا يزداد ظهره انحناء...يخاطب دائمًا يده، يتحرك بصعوبة، لم يعد يرسم، أصبح أقل مرحًا من ذى قبل، لم يعد يسأل أين نذهب يا بابا.

ربما كان بخير حيث هو.

أو، أنه لم يعد يرغب فى الذهاب إلى أى مكان.

www.ibtesama.com

كل مرة أتلقى فيها دعوة ميلاد لا أرغب فى تلبيتها ولا فى تهنئة الرابحين السعداء.

بالتأكيد كنت غيرانًا. خصوصًا وأننى كنت أنزعج بعد ذلك. عندما، بعد عدة سنوات، يرينى الآباء المغتبطون والمعجبون جدًا صور طفلهم المعشوق. يرددون آخر كلماته الملهمة ويتحدثون عن خصائصه. كنت أعتبرهما متغطرسين ومبتذلين. كمثل الذى يتحدث عن كفاءة سيارته البورش لمن يملك سيارة "٢ سي فى"(*) قديمة.

"وعمره أربعة أعوام كان يعرف القراءة والعد..."

لم يراعونى، يروننى صور عيد الميلاد، الطفل الغالى الذى ينفخ فى الشموع الأربعة بعد أن عدها، الأب الذى يصور بالكاميرا. عندئذ تمر برأسى أفكار شريرة، أرى الشمع وقد أمسكت نيرانه بالسماط، بالستارة وبكل البيت.

مؤكد أن أطفالكم هم الأكثر جمالاً فى العالم، الأكثر ذكاء. وأطفالى الأكثر قبحًا والأكثر غباء. هذا خطئى، لقد أخفقت معهما.

(*) موديل قديم من سيارات سيتروين الفرنسية إنتاج عام ١٩٤٩م (المترجم).

www.ibtesama.com

فى سن الخامسة عشرة، توماس وماتيو لا يعرفان لا القراءة ولا الكتابة ويتكلمان بالكاد.

www.ibtesama.com

مـــر وقت طـــويل دون أن أذهب لأرى تـــومـــاس وبالأمس ذهبت. غالبًا ما يجلس على كرسي متحرك. يتحرك بصعوبة. وبعد لحظة عرفنى، وسألنى: "أين نذهب يا بابا".

تقوس ظهره أكثر فأكثر. أراد أن نتنزه بالخارج. محادثتنا موجزة ومكررة. يتكلم أقل من ذى قبل، يخاطب دومًا يده.

قادنا إلى غرفته. منيرة ومطلية بالأصفر، وسنوبى لا يزال على السرير. وعلى الحائط ثمة عمل تجريدى يرجع الى بداياته، نوعًا من العنكبوت وقد تشبك فى نسيجه.

غير الجناح، هو فى وحدة صغيرة بها اثنا عشر نزيلاً، بالغون يشبهون أطفالاً عجائز. لم يكن لهم عمر، هم بلا تاريخ. لابد وانهم ولدوا فى ٣٠ فبراير...

الأكثر تقدمًا فى العمر يدخن البايب ويخرج لسانه للمُربيات. ثمة عجوز يتجول فى الطرقات يتبع الجدران وهو يتحسسها. يقول لنا البعض صباح الخير ويتجاهلنا الأغلبية. أحيانًا نسمع صرخة، ثم سكونًا إلا من صوت خف الأعمى.

www.ibtesama.com

كان علينا أن نتخطى بعض النزلاء الممددين على الأرض، وسط الغرفة وأعينهم شاخصة نحو السماء، يحلمون، وأحيانًا يضحكون بلا سبب.

www.ibtesama.com

لم يكن الأمر مثيرًا للحزن، إنه عجيب، وأحيانًا جميل.

الحركات البطيئة للبعض الذين يخبطون فى الهواء تشبه لحنًا إيقاعيًا، حركات من الرقص الحديث أو من مسرح كابوكى(*). وآخر كان يصنع بذراعيه حركات بهلوانية أمام وجهه يذكرنا بالرسومات الذاتية لإيجون شيل.

على طاولة، جلس اثنان من شحيحى البصر يداعبان أياديهم.

وعلى طاولة أخرى، ثمة نزيل آخر، رأسه متساقطة الشعر، والشعر رمادى؛ كنا سنتخيله وقد ارتدى ملابس رمادية من ثلاث قطع، له هيئة موثق العقود إلا أنه بمريلة طفل وكان يردد دون توقف: "كاكا، كاكا، كاكا،..."

كل شيء مسموح به، كل الغرائب، كل الجنون، لايقيمنا أحد.

هنا، لو كنا جادين، ونتصرف بشكل طبيعى سنكون تقريبًا منزعجين، سنشعر أننا لسنا مثل الجميع وأننا مثيرون للسخرية نوعًا.

(*) نوع من أنواع المسرح اليابانى الراقص يعتمد على الأداء الإيقاعى (المترجم).

www.ibtesama.com

عندما أذهب هناك أرغب أن أفعل الحماقات مثلهم.

فى المعهد العلاجى التربوى كل شيء صعب وأحيانًا مستحيل. ارتداء الملابس، ربط الحذاء، غلق حزام، فتح حلوى الإيكلير، مسك شوكة.

شاهدت طفلا عجوزًا له عشرون عامًا. يحاول مربيه أن يجعله يأكل وحده بسلة. وأدركت النتائج التى تمثلها أقل الحركات فى حياته اليومية.

أحيانًا ثمة بعض الانتصارات التى تستحق ميدالية ذهب فى الألعاب الأوليمبية. نجح فى الإمساك بكثير من حبات البسلة بالشوكة وجلبها إلى الفم دون أن يُسقطها كلها. كان جد فخورًا، نظر إلينا، مُشرقًا.

سنعزف عن حق السلام الوطنى على شرفه وعلى شرف مدربه.

www.ibtesama.com

يشهد المعهد العلاجى التربوى الأسبوع المقبل تظاهرة رياضية، الألعاب رقم ١٨ بين المراكزالمخصصة للنزلاء الأقل ضررًا. ثمة الكثير من التخصصات: لعبة الكرات على لوحة التصويب، السير بالدراجة الثلاثية، السلة، التصويب بدقة، السير بالمحرك وقذف الكرة. لم أستطع منع نفسي من التفكير فى رسم رايزر الخاص بالألعاب الأوليمبية للمعوقين.الاستاد مُغطى بيفط كبيرة من القماش مكتوب عليها: "ممنوع الضحك".

www.ibtesama.com

من المؤكد أن توماس لن يشارك. مُشجعًا سيكون. سنُخرجه ونضع مقعده أمام الملعب ليُشاهد العرض. يدهشنى اهتمامه بالأمر هو الذى انغلق فى عالمه الداخلى أكثر فأكثر. فى أى شيء يُفكر.

هل يعلم ما يُمثله لى، منذ أكثر ثلاثين عامًا، الملاك الصغير المنير؟ الأبيض الذى كان يضحك دومًا؟ الآن يشبه مزرابًا، لعابه يسيل ولا يضحك أبدًا.

بعد انتهاء التظاهرة، كان إعلان الترتيب مع توزيع الميداليات والكئوس.

كنت أحب أن يكون لدى أطفال أفخر بهم. يكون بوسعى أن أعرض على أصدقائي شهاداتهم، جوائزهم وكل الكئوس التى حازوها فى الملاعب. كنا سنعرضها مع الصور فى فاترينة فى الصالون حيث يمكننا أن نشاهدها معًا.

على الصورة سيكون لى سمت الرضا والغبطة التى لصياد التقطت له صورة مع السمكة الضخمة التى اصطادها لتوه.

www.ibtesama.com

فى شبابى تمنيت أن يكون لدى موكب من الأطفال. كنت أرى نفسى أتسلق الجبال وأنا أغنى، أعبر المحيطات مع ملاحين صغار يشبهوننى، أجوب العالم متبوعًا بقبيلة سعيدة من الأطفال الفضوليين ذوى النظرة المتوقدة الذين أعلمهم أشياء كثيرة، أسماء الشجر، العصافير والنجوم.

أطفال أعلمهم لعب كرة السلة والكرة الطائرة، أخوض معهم مباريات لا أكسبها دومًا.

أطفال أعرض لهم لوحات وأسمعهم الموسيقى.

أطفال أعلمهم فى الخفاء الشتائم.

أطفال أعلمهم تصريف فعل ضرط.

أطفال أشرح لهم وظيفة المحرك الانفجارى.

أطفال ابتكر لهم قصصًا مُضحكة.

لم يكن عندى حظ. لعبت بيانصيب الوراثة، وخسرت.

www.ibtesama.com

" كم عمر أطفالك الآن؟"

بماذا سيفيدكم ذلك.

طفلىّ بلا تاريخ. ماتيو لا عمر له وتوماس سيتم المائة.

هما عجوزان صغيران أحدبان. لن ينضجا أبدًا لكنهما دومًا مهذبون وودودون.

لم يعرفا أبدًا عمرهما. يستمر توماس فى مضغ دبته العجوزة بهدوء، لا يعلم أنه عجوز فأحد لم يُخبره.

عندما كانا صغيرين كان لابد من تغيير أحذيتهما، نأتى كل عام بمقاس أكبر. أقدامهم فقط هى التى كبرت ولم يتبعها حاصلهم الذكائي. وبمرور الوقت، كان بالأحرى يتجه نحو الانخفاض. كانا يتطوران بالعكس.

عندما تكون حياتك كلها مع أطفال يلعبون المكعبات ويمتلكون دمية دب، تبقى دومًا شابًا. لا تعلم جيدًا ما صرت إليه.

لا أعلم جيدًا من أكون، لا أعلم جيدًا أين أنا، لا أعلم جيدًا عمرى. أظن دومًا إن لدى ثلاثين عامًا وأسخر من كل شيء. لدى انطباع أننى تورطت فى

www.ibtesama.com

تمثيلية مضحكة جدًا، لست جادًا، أبدًا لا أخذ شيئًا على محمل الجد. أستمر فى قول الحماقات وكتابتها. طريقى مسدود ينتهى، ومسدودة حياتى تنتهى.

www.ibtesama.com

صدر من هذه السلسلة

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

١ ـ «ملكة الصمت» للكاتبة الفرنسية «مارى نيميه» ـ رواية ـ جائزة ميديسيس.

٢ ـ «فتاة من شارتر» للكاتب الفرنسى «بيير بيجى» ـ رواية ـ جائزة «إنتر».

٣ ـ «موال البيات والنوم» للكاتب المصرى «خيرى شلبى» ـ رواية ـ جائزة الدولة التقديرية.

٤ ـ «أوائل زيارات الدهشة» للشاعر المصرى «محمد عفيفى مطر» ـ سيرة ذاتية ـ جائزة «سلطان العويس».

٥ ـ «اللمس» للكاتبة السعودية «ملحة عبدالله» ـ مسرح ـ جائزة «أبها».

٦ ـ «عاشوا فى حياتى» للكاتب المصرى «أنيس منصور» ـ سيرة ذاتية ـ «جائزة مبارك».

٧ ـ «قبلة الحياة» للكاتب المصرى «فؤاد قنديل» ـ رواية ـ «جائزة التفوق».

٨ ـ «ليلة الحنة» للكاتبة المصرية «فتحية العسال» ـ مسرح ـ «جائزة التفوق».

٩ ـ العاشقات ـ للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

١٠ ـ نوّة الكرم، للكاتبة المصرية نجوى شعبان، رواية، «جائزة الدولة التشجيعية».

www.ibtesama.com

١١- «الفسكونت المشطور» للكاتب الإيطالى ـ إيتالوكالڤينو. رواية (عدد خاص) جائزة «فياريچيو».

١٢- القلعة البيضاء / للكاتب التركى أورهان باموق ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

١٣ - أين تذهب طيور المحيط/ للكاتب المصرى إبراهيم عبدالمجيد ـ أدب رحلات - «جائزة التفوق».

١٤ ـ قرية ظالمة / للكاتب المصرى محمد كامل حسين ـ عدد خاص ـ «جائزة الدولة للأدب».

١٥ ـ الرجل البطىء / للكاتب الجنوب أفريقى ج . م . كوتسى ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

١٦ ـ طحالب / للكاتبة الجنوب إفريقية مارى واطسون ـ متتالية قصصية / «جائزة كين» .

١٧ ـ شوشا / للكاتب البولندى اسحق باشيفيس سنجر/ رواية / «جائزة نوبل».

١٨ - شارع ميجل/ للكاتب من ترينداد/ ف. س. نايبول. رواية/ «جائزة نوبل».

١٩ ـ الحياة الجديدة ـ للكاتب التركى «أورهان باموق» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

٢٠ ـ عشر مسرحيات مختارة ـ للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر» ـ مسرح ـ «جائزة نوبل».

٢١ ـ الآخر مثلى - للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» - رواية - «جائزة نوبل».

www.ibtesama.com

٢٢ ـ المستبعدون ـ للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

٢٣ ـ الأنثى كنوع ـ للكتابة الأمريكية «جويس كارول أوتس» ـ قصص ـ «جائزة بن مالامود».

٢٤ ـ ثلاثة أيام عند أمى ـ للكاتب الفرنسى «فرانسوا فايرجان» ـ رواية ـ «جائزة الجونكور».

٢٥ ـ اسطنبول.. الذكريات والمدينة.. للكاتب التركى «أورهان باموق».. «جائزة نوبل».

٢٦ ـ الطوف الحجرى.. للكاتب البرتغالى «جوسيه ساراماجو».. رواية.. «جائزة نوبل».

٢٧ ـ نار وريبة.. للكاتبة الألمانية «بريچيتّه كروناور» مختارات جائزة «چورچ بوشنر الكبرى».

٢٨ ـ الذكريات الصغيرة.. للكاتب البرتغالى «جوسيه ساراماجو» .. سيرة ذاتية.. «جائزة نوبل».

٢٩ ـ إليزابيث كُستّلّو.. للكاتب الجنوب إفريقى ج. م. كوتسى .. رواية.. «جائزة نوبل».

٣٠ ـ السيدة ميلانى والسيدة مارتا والسيدة جيرترود.. للكاتبة الألمانية بريچيته كروناور .. قصص.. «جائزة چورج بوشنر الكبرى».

٣١ ـ حين تقطعت الأوصال .. للكاتبة المكسيكية أمبارو دابيللا.. قصص.. «جائزة بيربياروبيا».

٣٢- مارتش.. للكاتبة الأمريكية «جيرالدين بروكس» رواية.. «جائزة البوليتزر».

www.ibtesama.com

٣٣ – اغتنم الفرصة.. للكاتب الكندى «سول بيللو».. رواية.. «جائزة نوبل للآداب».

٣٤ – البصيرة.. للكاتب البرتغالى «جوسيه ساراماجو».. رواية.. «جائزة نوبل».

٣٥ – بريك لين.. للكاتبة الإنجليزية البنغالية.. «مونيكا على».. رواية.. «جائزة البوكر».

٣٦– بريد بغداد.. للكاتب التشيلى «خوسيه ميجيل باراس».. رواية.. «الجائزة الوطنية للآداب».

٣٧ – عن الجمال.. للكاتبة البريطانية «زادى سميث» رواية.. «جائزة الأورانج».

٣٨ – العار.. للكاتب الجنوب إفريقي ج. م. كوتسى.. رواية.. «جائزة نوبل».

٣٩ – قبلات سينمائية.. للكاتب الفرنسى إيريك فوتورينو.. رواية.. «جائزة الفيمينا».

٤٠ ـ هكذا كانت الوحدة.. للكاتب الإسبانى خوان خوسيه مياس.. رواية.. «جائزة نادال».

٤١ ـ الشلالات.. للكاتبة الأمريكية چويس كارول أوتس.. رواية.. «جائزة الفيمينا».

٤٢ ـ العشب يغنى.. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. «جائزة نوبل».

٤٣ ـ العالم.. للكاتب الإسبانى خوان خوسيه مياس.. رواية.. «جائزة بلانيتا».

٤٤ ـ ميراث الخسارة.. للكاتبة الهندية كيران ديساى.. ر واية.. «جائزة البوكر».

www.ibtesama.com

٤٥ ـ الطفل الخامس.. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. «جائزة نوبل».

٤٦ ـ بن يجوب العالم.. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. «جائزة نوبل».

٤٧ ـ ثورة الأرض.. للكاتب البرتغالى جوزيه ساراماجو.. رواية.. «جائزة نوبل».

٤٨ ـ ملك أفغانستان لم يزوجنا.. للكاتبة الفرنسية انجريد توبوا.. رواية.. «جائزة الرواية الأولى فى فرنسا».

٤٩ ـ الكهف.. للكاتب البرتغالى جوزيه ساراماجو.. رواية.. «جائزة نوبل».

٥٠ ـ يوميات عام سئ.. للكاتب الجنوب إفريقى ج.م كوتسى.. رواية.. «جائزة نوبل».

٥١ ـ كازانوفا.. للكاتب الإنجليزى أندرو ميللر.. رواية.

٥٢ ـ إنقطاعات الموت.. للكاتب البرتغالى جوزيه ساراماجو.. رواية.. «جائزة نوبل».

٥٣ ـ العم الصغير.. للكاتب الألمانى شيركو فتّاح.. رواية.. «جائزة هيلده دومين لأدب فى المنفى».

٥٤ ـ اللعب مع النمر.. للكاتبة الانجليزية دوريس ليسنج.. مسرح.. «جائزة نوبل».

٥٥ ـ فى أرضٍ على الحدود.. للكاتب الألمانى شيركو فتّاح.. رواية.. «جائزة نظرات أدبية».

٥٦ ـ الإرهابية الطيبة.. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. جائزة نوبل.

www.ibtesama.com

٥٧ ـ المسرحيات الكبرى جـ١ .. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر» .. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٨ ـ المسرحيات الكبرى جـ ٢ .. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر.. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٩ ـ نصف شمس صفراء.. للكاتبة النيجيرية «تشيماماندا نجوزى آديتشى» .. رواية.. جائزة الأورانج.

٦٠ ـ مذكرات چين سومرز «مذكرات جارة طيبة».. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. جائزة نوبل.

٦١ ـ مذكرات چين سومرز «إن العجوز استطاعت».. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. جائزة نوبل.

٦٢ ـ الحوت.. للكاتب الفرنسى جان مارى جوستاف لوكليزيو.. رواية..جائزة نوبل.

٦٣ ـ رقة الذئاب.. للكاتبة الاسكتلندية «ستيف بينى».. رواية.. جائزة كوستا.

٦٤ ـ رحلة العم ما.. للكاتب الجابونى چان ديڤاسا نياما.. رواية.. جائزة الأدب الكبرى لأفريقيا السوداء.

٦٥ ـ مسيرة الفيل.. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» رواية.. جائزة نوبل.

٦٦ ـ كرسى النسر.. للكاتب المكسيكى «كارلوس فوينتيس».. رواية.. جائزة ثرفانتيس.

٦٧ ـ داى.. للكاتبة الاسكتلندية «أ. ل. كيندى».. رواية.. جائزة كوستا.

www.ibtesama.com

٦٨ ـ الحب المدمر.. للكاتب الأمريكى الكندى «دي واى بيشارد».. رواية.. جائزة الكومنولث.

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

يصدر قريباً من هذه السلسلة

١ـ نداء دينيتى.. چان ديڤاسا نياما.. جائزة الأدب الكبرى لأفريقيا السوداء ٢٠٠٩ .

٢ ـ صخب الميراث.. جان ديڤاسا نياما.. جائزة الأدب الكبرى لإفريقيا السوداء ٢٠٠٩.

٣ ـ كتاب الخط والرسم.. جوزيه ساراماجو.. جائزة نوبل فى الآداب ١٩٩٨.

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

www. egyptianbook org.eg
E - mail : info@egyptian.org.eg

www.ibtesama.com

الرواية

أين نذهب يابابا؟ سؤال يردده "توماس" ابن الراوى عليه دون توقف..إنه السؤال الوحيد الذى يستطيع نطقه بوضوح، ويجعلنا الراوى بسخرية مريرة ننتظر أن يحظى طفله المعوق بإجابة مرضية، ولكننا نكتشف عبر صفحات الرواية الحقيقية الوحيدة المؤلمة وهى أنه مهما كانت الإجابة فلن تثنيه عن تكرار سؤاله الوحيد فهو باختصار شديد لا يفهم.

أما "ماتيو" الابن المعوق الثانى فهو لا يجيد إلا أن يقذف بكرته بعيداً، ثم يطلب من والديه أن يعيداها إليه وربما كانت اللحظة الوحيدة التى يشعر فيها بالراحة هى عندما يمسك أحدهما بيده ويذهبان معاً للبحث عن الكرة حتى تحين لحظة يطوح فيها بكرته بعيداً جداً ولا يجد من يساعده على العثور عليها ثانية فيموت وعمره خمسة عشر عاماً.

تبدو الرواية موجعة تدور حول التفاصيل الواقعية لعالم طفلى الراوى المعوقين ذهنياً، ولكنها فى الحقيقة شديدة العذوبة حتى تكاد عذوبتها تمحو كل هذا الألم

الروائى: جون لوى فورينيه كاتب فرنسى.

الجائزة: جائزة الفيمينا ٢٠٠٨.

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ISBN# 9789774212713

6 221149 015814

www.ibtesama.com

حصريات

مجلة الابتسامة

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com